



سلسلة

« وعائشروهن بالمعروف ».

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد حسن عبدالضفار



الحلقة (١) الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ". (آل عمران / ١٠٢)

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ". (النساء / ١)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ". (الأحزاب / ٧٠-٧١)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار:-

أما بعد إخواني الكرام:-

♦ من رام سعادةً فعليه بحسن الخلق ومن رام رفعةً وارتقاءً وسموًا فعليه بحسن الخلق من أراد أن يُدرك الصائم القائم المتصدق فعليه بحسن الخلق وكان نبينا - ﷺ - هو الأسوة كما قال تعالى: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ". [الأحزاب: ٢١]

♦ فكان رسول الله أحسن الناس أخلاقًا وكان رسول الله أكرم الناس وأرقى الناس عند رب الناس كما قال ابن عباس رضي الله عنه : **والذي نفسي بيده ما خلق الله وما ذرأ وما برء أكرم عليه من رسول الله ﷺ**.

♦ وعندما مدحه الله في كتابه مدحه بأرقى الصفات وأسمى السمات عندما قال رب الأرض والسموات : "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ". [القلم: ٤]

ولذلك أنس - رضى الله عنه وأرضاه - بيث الحديث للناس بأن النبي ﷺ - أحسن الناس خلقاً قال: لا والله ما مست يدى ديباجاً ولا حريراً ألين من يد رسول الله ﷺ.

وقال: ما شممت عنبراً قط أو مسكاً قط أطيب من ريح عرق رسول الله ﷺ.

أوقال: من ريح رسول الله ﷺ.

فهو أعظم طيباً من الطيب ثم أخذ أنس يشرح لنا كيف كان خلق النبي ﷺ قال: لا والله ما قال لشيء أنا فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعله يقول: " لو قدر له لفعل".

ياالله هذا عز وإتقان ورُقَى وفقه وعمق ، وانظر كيف أن يجمع بين عين القدر وعين الشرع لأن عين القدر وعين الشرع الإنسان بينهما فإن كان متقناً إن كان فقيهاً حقاً يستطيع أن يوازن بين عين القدر وعين الشرع عند التعامل مع شرع الله يضبط المسألة على الشرع ما له إلا الشرع لأنه ياتمر بأمر الله - جل فى علاه - ويسعى جاهداً فى القربات والصالحات والحسنات المكفرات.

وأما مع الخلق فيُغَلَّب جانب عين القدر من أجل العفو والصفح والإحسان والجود والكرم فيُغَلَّب عين القدر مع النفس لابد أن يكون بين عينيْن عين القدر وعين الشرع وهذا الكلام فيه نوع من الإغلاق نفتحه:

لما يكون الأمر بينه وبين ربه يُمحّص الشرع لم؟! لأن الله أراد منه ذلك لأن القدر صفة من صفات الله - جل فى علاه - من لوازم ربوبية الله - جل فى علاه.

القدر قدرة الله القدر غيب والغيب كله لله - جل فى علاه - أنت ما عليك إلا أن تُسلم تمام التسليم : "إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ". [البقرة: ١٣١]

هذا بالنسبة لبيبك وبين الله - جل فى علاه - غَلَّب عين الشرع قدر ماتستطيع أولاً تُسلم.

ثانياً: تعتقد حسن الاعتقاد بأن الرب العلى فى كماله قادر على كل شيء وهو قائم بكل شيء فهو قائم على كل نفس بما كسبت وفى الصحيحين: " إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط ويخفضه يُرفع له عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل". سبحانه جل فى علاه.

وَتُغْلِبُ جَانِبَ الشَّرْعِ عَيْنَ الشَّرْعِ أَمْرُكَ بِالصَّلَاةِ فَتَقُومُ فَتُصَلِّيُ الْخَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، أَمْرُكَ بِالزَّكَاةِ مَلَكَتْ مَالاً بَلَغَ نَصَابًا وَحَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ تُخْرِجُ رُبْعَ الْعَشْرِ مِنْ هَذَا الْمَالِ كُنْتَ مُسْتَطِيعًا أَمْرُكَ بِالْحَجِّ فَتَوَدَّى الْحَجَّ أَنْتَ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ وَفِي كُلِّ أَنْ تَتَعَبَّدَ لِلَّهِ وَتَتَقَلَّبَ فِي الْعِبَادَةِ إِنْ كَانَتْ نِعْمَةً فَشَكَرَ وَإِنْ كَانَتْ نِقْمَةً فَصَبَرَ وَأَنْتَ هَكَذَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ - جَلَّ فِي عِلَاهُ - أَمَامَ عَيْنِ اللَّهِ أَنْتَ تُغْلِبُ الشَّرْعَ فِي تَعَامُلِكَ مَعَ اللَّهِ - جَلَّ فِي عِلَاهُ - وَاعْتِقَادَكَ إِعْتِقَادَ تَامٍ رَاسِخٍ بِأَنْ مَافِي الْكَوْنِ مِنْ مُتَحَرِّكِ إِلَّا وَحَرَكَهُ اللَّهُ وَمَافِي الْكَوْنِ مِنْ سَاكِنٍ إِلَّا وَسَكَنَهُ اللَّهُ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ لَابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلًا فَصْلًا قَالَ: " وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِاجَتْعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِأَمْرِ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَتِ الصُّحُفُ ". مَأْمَنَ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ لَكَ مَدْحًا أَوْ قَدْحًا .

إِنَّ: هَذَا فِي تَعَامُلِكَ مَعَ اللَّهِ جَلَّ فِي عِلَاهُ.

مَعَامَلَتِكَ مَعَ الْبَشَرِ غَلِبَ الْقَدْرُ تَرَاهُ يَغْتَابُكَ ظَلَمُكَ أَوْ مَاظَلَمَكَ وَقَعَ عَلَى نَقِيصَةٍ مِنْكَ يَنْشُرُهَا بَيْنَ النَّاسِ هَذَا أَسْوَأُ النَّاسِ النَّفَامُ أَسْوَأُ النَّاسِ الَّذِي يُفْسِدُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَتَّبِعُ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَيَفْشِيهَا بَيْنَ النَّاسِ هَذَا أَسْوَأُ النَّاسِ هَذَا كَفَى أَنْ اللَّهُ بَلَاهُ بِذَلِكَ وَالْمَشْكَلَةُ كُلُّ الْمَشْكَلَةِ أَنَّهُ يَحْسِبُ أَنَّهُ يَنْصُرُ الدِّينَ هَذِهِ مَشْكَلَةٌ هَذِهِ مَعْنَاهَا أَنَّ اللَّهَ يَسْتَدْرِجُهُ قَالَ تَعَالَى: " سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ". [الأعراف: ١٨٢].

وَأَسْوَأُ مِنْهُ مَنْ يُؤْتِيهِ الْفُرْصَةَ وَيُمْلِكُهُ إِيَّاهَا فَأَنْتَ عِنْدَمَا تَرَى ذَلِكَ وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي حَقِّكَ غَلِبَ جَانِبُ الْقَدْرِ قُلْ لَوْ قُدِّرَ لَهُ لَفَعَلَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ فَأَنْتَ تَرْحَمُهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ عِنْدَمَا وَقَعَ عَلَى النَّقِيصَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَرْحَمَكَ هُوَ وَيَنْظُرُ لَكَ بِعَيْنِ الْقَدْرِ وَأَيْضًا يُوَثِّقُ بِعَيْنِ الشَّرْعِ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُنْكَرُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَيَنْصَحُ وَيَعْضُضُكَ وَيَنْصُرُكَ وَيَغْلِبُ عَيْنَ الْقَدْرِ وَيَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّنِي لَمْ أَقَعْ فِيهِمَا وَقَعَ فِيهِ هَذَا الْمُؤْمِنُ الْحَقُّ أَمَّا الْآخِرُ فَفِيهِ شَبْهُ الْمُنَافِقِينَ هُوَ فِيهِ فَعَلَ الْمُنَافِقِينَ كَمَا قَالَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ : " يَامَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلْسَانَهُ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوَاتِمَهُمْ فَإِنْ مِنْ تَتَّبِعَ عَوْرَةَ مُسْلِمٍ تَتَّبِعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَّبِعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ فَضَحَهُ وَلَوْ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ ".

فَأَنْتَ عِنْدَمَا يَتَحَلَّلُ مِنْكَ تَقُولُ إِذْهَبْ مَا عَلَيْكَ شَيْءٌ بَرَّءْتُكَ وَبَرَّءْتُ سَاحَتَكَ تُغْلِبُ عَيْنَ الْقَدْرِ هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - وَالَّذِي أَخْطَأَ فِيكَ أَوْ سَبَكَ أَوْ أَخَذَ مِنْكَ شَيْئًا قَالَ تَعَالَى: " فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ". [الشورى: ٤٠].

قال: "، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ". [المؤمنون: ٩٦].

وفي الآية الأخرى: " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ". [فصلت: ٣٤].

وأُنس يشرح لنا خُلُق النّبي - ﷺ - ويقول: لا والله ما قال لي شيء فعلته لم فعلته ولا شيء تركته لم تركته قال: " يقول لو قُدر له لفعل".

بعثه كان في غير موضع يرسل أنس لقضاء أمرًا وأنس يلعب مع الصبيان ويتأخر عليه والنبي لا يلوم كما قلت ينظر بعين القدر يقول: "لو قُدر له لفعل". ومع ذلك يعفو ويعطى ويجود ويتسامح إلا أن تُنتهك المحارم أى محارم الله فيغضب يقول لا.

أسامة جب رسول الله وابن جب رسول الله يشفع في المرأة المخزومية التي سرقت فقال له النبي - ﷺ - : " أتشفع في حد من حدود الله والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". حاشاها ثم حاشاها ثم حاشاها سيدة العالمين لكن انظر النبي - صلى الله عليه وسلم - يُمثّل له ويُبين أن الأمة تسقط بانتهاك المظالم.

قال: " إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إن سرق فيهم الشريف تركوه وإن سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد".

ما في عدل ما في عدالة والدولة الكافرة إن كانت بعدل تقوم وتبقى إلى يوم الدين والدولة المؤمنة الموحدة إن كانت على ظلم تقوم فتنهار بعد حين ماتبقى أعجل عقوبة عقوبة البغي اللهم اغفر لنا اللهم إنا ظلمنا أنفسنا وظلمنا غيرنا ونعترف بذلك ونستغفر الله عليه.

فكان أنس يقول: ما رأيت أحدًا في خُلُق النبي - ﷺ - قال: كان النبي - ﷺ - أحسن الناس خُلُقًا فما قال لي شيء فعلته لم فعلته...

حتى لا تكون المراجعة والعتاب والتأنيب اللهم اغفر لنا يارب اللهم علّمنا من هذا الخُلُق وآتيناه الحظ الأوفر والنصيب الأعظم يارب العالمين.

قال: ولا شيء تركته لم تركته.

كان هذا خلق النبي - ﷺ - ولذلك قال أنس - رضى الله عنه وأرضاه - : خدمت النبي - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين والله ماسبتني مسبة قط وما قال لي أف قط ولا قال لي شيء فعلته لم فعلته ولا شيء تركته لم تركته.

وقد قالت عائشة - رضى الله عنها - لما سُئِلت عن خُلُق النبي ﷺ فقالت: كان خُلُقه القرآن.

مكارم الأخلاق مع النبي الأمين - ﷺ - فهو القائل: " إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

ولذلك قال النبي - ﷺ - كما فى السنن كما قالت عائشة - رضى الله عنها - كما فى الترمذى بسند صحيح: " إن المرء ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ."

وأيضاً قد قال - النبي ﷺ - : " إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً ."

هذا تأكيد على أن من أخير الناس فيكم أحسنكم أخلاقاً وقال النبي - ﷺ - :
" من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً ومنزلةً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة مساوئكم أخلاقاً ."

فانظر أين وصلت أنت بحسن الخلق!!!

وقد قال الترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه: " مامن شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسن الخلق ."

وهذه فيها دلالة واضحة جداً على وافر الأجر العظيم للعبد إن كان حسن الخلق وحُسن الخلق يكون مع الله أولاً ومع الرسول ثانياً ومع النفس ثالثاً ومع الناس رابعاً يكون حسن الخلق.

فى سنن ابن ماجه - رضى الله عنه وأرضاه - : سئل النبي - ﷺ - :
" أى الناس أفضل أو قال أى المؤمنين أحسن فقال: " أحسنهم أخلاقاً ."

والأفضلية هنا على التعميم.

وقد قال النبي - ﷺ - : " أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق " .

وقد قال النبي - ﷺ - : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ."

أنظر إلى الخلق وانظر كيف يصل الإنسان إلى المعالى بحسن خلقه وإن لم يكن له كثير صلاة ولا صيام لكنه يرتقى بحسن خلقه إلى المعالى.

والنبي - ﷺ - قد بين أن أعظم الناس قدراً وأرفعهم منزلةً أحسنهم خلقاً قال:
" أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم الخلق " . «عصب المسألة»

علامات حسن الخلق

أقول تمهيداً: علماء الجرح والتعديل الذين يصفون الراوى بأنه ثقة أو ضعيف مقارب أو صدوق الغرض المقصود أنه فيه الجرح والتعديل من علماء الجرح والتعديل وقد اختلفوا أى العلماء: هل المرأة تدخل فى هذا المزمارة لأن خطره عظيم، فتجد من يقول هذا مبتدع هذا ضال!!!

وإن قلت له: ماتت عن بنت وبنت ابن ورثت؟! فما يعرف!

تقول له: اقرأ الفاتحة يلحن فيها!!

فهذه مصيبة كبرى جهابذة العلم هم الذين يقومون بهذا أى بالجرح والتعديل بل وهناك شروط لابد من توافرها فيمن يُجرح أو يُعدل:

أولها وأعظمها: الورع ونحن نتحدث عنه حتى يترسمه الناس اللهم اغفر لنا يارب وارزقنا الورع لسنا من أهله لكننا نحاول أن نكون عليه ونفعله.

ثانياً: التضلع فى العلم وهذا ليس بابى الآن وليس هو المقصود لذاته هنا أنا أمر به معبراً على أن أقول :

هل المرأة يصح أن تكون من المجرّحين أو المعدّلين؟!

يعنى المرأة تستطيع أن تقول هذا ثقة وهذا ليس بثقة؟!

جمهور العلماء: قالوا لا!

الحق أن أقول لكم شيئاً:

المرأة لاتصلح أن تكون ممن يُجرح أو يُعدل لأنها إن رضيت عنك لو أنت شيطان رجيم ستجعلك من الإنس المسلم وإن لم ترضى عنك أنت مع الجن مع الجن!!!

وهذا واضح جدًا مع النساء لأن الحكمة لاتغلب عليهن بل تغلب عليهن العاطفة وهذا سنعضضه لكن التجريح والتعديل حقًا من الزوجة إن وثقت أو جرّحت دون هوى دك من الهوى إذن فأنت الموثق بحق وهذا سيأتي تفصيله بإذن الله.

علامات حسن الخلق

(١) حُسن العشرة مع الزوجة:

حسن الخلق سبيل إلى الجنة حسن الخلق سبيل إلى رضوان الله - جل في علاه - حسن الخلق تأليف بين المؤمنين وتأليف بين القلوب حسن الخلق به الموانسة والملاطفة به الرفق واللين والعطف حسن الخلق يظهر جليًا في حسن العشرة مع الأزواج قال النبي - ﷺ - : " **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخيركم خيركم لنسائه**".

وفى رواية قال: " **وخياركم خياركم لنسائه**". وفى رواية قال: " **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**".

كنا نقول: **هل للمرأة أن يكون لها الجرح أو التعديل؟!**

قلنا لم نرى فى الكتب أن امرأة جرّحت أو عدّلت وإن كان قد ورد عن عائشة عن أم سلمة عن غيرها وهناك أمثلة من الممكن أن يُتمثل بها لكن ظهورًا أن المرأة لاتدخل فى هذا المزمّار لكن فى جانب واحد نقول: إن وثقتك زوجتك فأنت الثقة بحق إن قالت عليك نبيلًا وإن جاءت ببعض ما عليك من الأخطاء المظلمة التى تقع منك والناس جميعًا لم يبرء أحد من الخطأ وليس أحد إلا وله زلل القمر المستنير لابد له من جانب مظلم لابد!!

أرأيت عندما بكى **عمر بن الخطاب** عندما نزلت الآيات صريحة : " **اليَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...**" [المائدة: ٣].

عمر بكى فلما سئل عن ذلك قال: ما اكتملت عندي إلا ونقصت، ما فى كمال إلا الله وحده.

الغرض المقصود: أن حقًا علامة حسن الخلق حسن العشرة والشرع قد جاء وأكد على حسن العشرة مع الأزواج بأمر من الله فى كتابه وأمر من النبي - ﷺ - فى سنته وبفعل الصحابة إئتمارًا

بأمر الله وانقيادًا لأمر رسوله - ﷺ - غار في هذا المجال مانأتسى به ونحاول أن نرتقى في المعالى بمثل هذه الأفعال - الله جل وعلا - قال: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ" [النساء: ١٩].

هذا أمر جزم وظاهر الأمر الوجوب قال تعالى في كتابه: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا" [النساء: ١٩].

«وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»

بالرفق واللطف واللين والمؤانسة وحسن الغزل وحسن الكلام وحسن التعامل هكذا تكون قد أدبت ما أمر الله به.

«وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»

حسن المعشر: المرأة قد تُجن في بعض اللحظات فإما أن تغض الطرف ولا تخوض وإن خضت كسرتها أو أز عجتك فحاول بقدر الإمكان أن تستوعب والمرأة لا بد أن تعاملك كطفل

إن كانت ذكية لبيبة وهي عندك تكون مثل اللعب تُروح عن نفسك وتُحسن إليك ومن استطاع أن يقود النساء ويسوس النساء يسوس أمم وهذا ليس من عنديات نفسى أرايت النبى ﷺ؟!!

وهذا كان دأب الأنبياء جميعًا قبله لأننا نعيش في أوقات الآن الشرع فيها رسم ليس تطبيقًا أو قول وأنا لا أتكلم عن من يزل معصيةً أتكلم عن من يجعل الشرع رسمًا ولا يطبق ثم يزل هو أصالة الشرع جميل جدًا عنده كالمرأة التى تقول: أنا الشرع فوق رأسى أحترمه جدًا أعظمه أبجله ربي الذى شرعه!

وبعد؟!!!

طبقى؟!!

تقول: لا ما أستطيع ما عندى القدرة!!!!!!

لاسيما مسألة التعدد التى قد قالها الله فى كتابه وقالها بصيغة تهيج النفوس قال: " فَاتَّكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ" [النساء: ٣].

والمسألة دعنا من كل هذا ، جمهور العلماء قال:

هذا على الجواز وأنها على الإباحة ومن قال بالإستحباب ومن قال بالتأكد لسنا بصدد المسألة
الفقهية نحن بصدد أعظم خلق الله وأكرم خلق الله على الله ، **كيف كانت حياته؟!**

السؤال الذى قبله الله الذى اختاره الله له هل هو أفضل مايكون أم لا؟!

بطل الخطاب الله - عزوجل - لا يختار لرسوله إلا أعظم مايكون فى الحياة ولذلك قال تعالى:
"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً".

قال: " أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اقْتَدِهْ ".[الأنعام: ٩٠].

ولذلك قال النبى - ﷺ - : " أنا قائدكم فى حسن الخلق مع الأزواج".

كان له تسعة وبُسيرهن ويلطفهن ويؤدى ماعليه لهن قسماً ونفقةً وغير ذلك وهو يقود الأمم
ليس الأمة بل أمم بأسرها وعبد العباد لرب العباد وأخرج للأمة شمساً بل للدنيا بأسرها
شموساً وقيادات لايعرف التاريخ قط أمثال هاؤلاء!!

فقال الله: "وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ".[النساء: ١٩].

معناها كما قلت الرفق والأنس والملاطفة كما كان يفعل النبى وهذا سيأتى تباعاً كيف كان
يتعامل النبى - ﷺ - مع أزواجه لأنها من علامات حسن الخلق أن تأتسى برسول الله وقدمنا فى
أول الحلقة أن الله - جل فى علاه - مدحه أيما مدح فى كتابه أرقى السمات وأسمى الصفات
عندما قال: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ".[القلم: ٤].

"وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا".
[النساء: ١٩].

هنا عين القدر تُغْلَب لِم؟!

لأننا قلنا أن القاعدة طالما أن الله قد مَنَّ عليك ببناء بيت مسلم فحافظ عليه مااستطعت إلى ذلك
سبيلاً وتصحيح العقود ما أمكن قاعدة فقهية من الأهمية بمكان لذلك أى أحد يقول: طالق،
طالق: أنا أبحث له عن المخرج لأنى مأمور شرعاً بأن أبقى البيت على ما هو عليه لكن ليس
كما يفعل الآخرون!!!

يقول: طلقته ثلاثاً: يقول يابنى أطعم عشرة مساكين وارجع لها!!

هذا ضلال مبين تكون بانته منه بينونة كبرى لكن طالما أن في احتمالية ولو ضئيلة ولو ضعيفة تبحث عن المكان حتى تخرج المسألة لتبقى كينونة البيت على ما هي عليه لأن هذا مُعظم عند الله - جل في علاه - وقد قال الله أيضاً في حظ النساء وهذا رداً أيضاً على تغريب المستشرقين الذين يقولون الإسلام قد هضم حق المرأة هاؤلاء مع جهلهم هم يعادون الإسلام عداوة ضارية وأنت ترى المرأة لا تعرف لها كرامة حقاً إلا عندما أتى الإسلام كانت سقف متاع عند أهل الجاهلية ما عرفت لها مكانتها وما عرف للمرأة علو ما هي فيه إلا في الإسلام وجعلها الله ملكة في بيتها تُخرج لنا أجيالاً : " **والمرأة راعية في بيتها ومسئولة عن رعيته**".

فقال الله - جل في علاه - "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ". [البقرة: ٢٢٨].

لا غلو ولا جفو

فكان ابن عباس يترجل لها رأى عليه القوم اهتماماً بنفسه أناقةً وذوقاً هذا ما يضر المرء أن يكون ذوقاً رقةً في القلب وأيضاً حسن تعامل ظاهر فكان ابن عباس جميلاً وسيماً قسيماً فكان يُرجل شعره فقل له: **وأنت يا ابن عباس تفعل ذلك؟!** لأنه ابن عم رسول الله وترجمان القرآن حبر الأمة حبر العرب كما يقولون وهو من هو في العلم يهتم بنفسه وأناقته وجماله وهذا فقه أيضاً هذا فقيه ورد عليهم برد الفقيه فقالوا أنت الأحق بك أن تكون زاهداً في الدنيا زاهداً فيما تفعل زاهداً في النساء ولم؟! أكان النبي كذلك؟!!

الحديث ضعيف أنا معكم لكن النبي - ﷺ - قال: "وحبب إلى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة".

هذا احتمال التحسين وارد جداً وهذا حسنه بعض العلماء قال: "وحبب إلى من دنياكم الطيب والنساء".

لم؟!

لترويح النفس لأن المرأة هي كتلة عواطف وحنو تغني الرجل عن كل شيء إن تزاكت وأعطت ماعندها من المشاعر لكنها إن بخلت فهذه مصيبة أخرى لكن الغرض المقصود أن الذي يجر هذه المسائل هو الرجل المحرك الرئيسي هو الرجل لذلك المرأة إن أعطت كانت كالسيل الجرّار بحر لا ساحل له في العطف والحنو والرفق واللين والعاطفة والتجمل والإبداع في ذلك موجود الغرض

المقصود قال الله تعالى: "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ". [البقرة: ٢٢٨].

كان ابن عباس يُرجل شعره فقليل له: **أنت ابن عم رسول الله تفعل ذلك؟!**

قال: نعم إنها تريد منى ما أريد منها: **" وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ "**. [البقرة: ٢٢٨].

لو تعلم كم الشكاية العظيمة من عدم اهتمام الرجال بأنفسهم أمام النساء؟!

وهذا ليس من الفطنة وليس من الذكاء المرأة لها عين ترى وأذن تسمع وقلب يشعر لها مالها من المتطلبات التي تكتمها ويلمحها اللبيب ولذلك الله - جل في علاه - يحرص على حقها ويقول تأسيساً: **" وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ "**.

وقد قال تعالى: **" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "**. [الروم: ٢١].

جعلها سكناً وجعلك سكناً فكن لبيباً أريباً رفيقاً وكن هيناً ليناً تنل الخير كله مع هذه المرأة قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : أن المرأة الصالحة هي كنز قال: **" ألا أوتبئكم بما يكنز المرء المرأة الصالحة إذا نظر إليها أسرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله "**.

هذه المرأة الصالحة.

وليس كل النساء تؤتي الجمال ، الجمال مقسم وهو رزق لكن للمرأة إبداعات في التغيير وإظهار مواطن الجمال فيها إبداعات راقية جداً إن جلست وتركته وحدها أمام المرأة أعطت لك مالم تتصور أنت ولك أن تتصور ذلك من قول الله فأنا أتيت بهذا الكلام من قول الله فأنا لا أتى بشيء من عنديات نفسى حتى لايقف المتنطعون ومالى وللمتنطعين؟!

وسأبين أشياء المتنطعون يفرون منها لجهلهم المركب ثم ينكرون لغبايمهم المستحکم ولو تعلموا ففهموا لكان أهدى وألطف وأحسن.

المرأة ماذا قال عنها الله - جل في علاه - فى صغر السن وهى صغيرة ماذا قال عنها؟

قال تعالى: **" أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ "**. [الزخرف: ١٨].

هذا إتيان من الصغر باهتمام بالنفس والأناقة والجمال: **" أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ "**. [الزخرف: ١٨].

فالمراة هكذا تبدع إبداعات راقية جدًا لكن إذا قلت بأن الله قسّم الجمال للنساء نعم لكن أعطاهن غريزة عظيمة جدًا وهى فى الكل تتفاوت النسبة لكنها أصل أصيل فى الكل إبداع لإظهار الجمال.

الرجل لابد من أن يكون كذلك قال الله - جل فى علاه -
"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ". [الروم: ٢١].

وقد قال الله - جل فى علاه - : " أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ...". [البقرة: ١٨٧].

ابن عباس قال كلامًا عجيبيًا وهذا لاتجده فى النساء الذى لايعقله لايراه واقعا المراة لها قدرة أنها تحبس أنفاسها ومشاعرها دون أن تظهرها وإن ماتت على الرجل حتى يتقدم هو فيفتح الصنبور فإن فتح الصنبور إنهال المطر لكن لابد أن يكون متقنًا فى فتح الصنبور.

قال ابن عباس: المرأة خلقت من الرجل فكان ميلها وحبها للرجل والرجل خلق من الأرض فكان ميله وحبه للأرض وللمرأة.

وعلى العاقل اللبيب أن يُوظف كل شيء فى موضعه وهذا من الحكمة لأن الحكمة وضع الشيء فى موضعه.

وأما الوصية بالنساء فقد جاءت فى سنة سيد المرسلين - ﷺ - وهذا سيأتى تباعًا لنعلم الحقوق وكيف كيفية الحقوق.

النبي لما خطب فى الناس يوم عرفة يوم الحج الأكبر وكانت هذه الحجة هى حجة الوداع وخطب النبي - ﷺ - فى الناس جعل الأولويات جعل الأولويات وانظر لتعلم كيف كرامة المرأة وحق المرأة وكرامة المرأة عند ربنا سبحانه - جل فى علاه - وفى إسلامنا الجميل وفيه دين الحق ماذا قال؟

قال: " الله الله فى النساء استوصوا خيرًا بالنساء فإنهن عوانٌ عندكم فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وأعوج مافى الضلع أعلاه إن ذهبت لتقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء".

ومعنى ذلك أنك لابد أن تتمتع به على عوجه وهذه من الفطنة أن تتجنب مايكسره وتكون على فطنة مع زوجك قال النبي - ﷺ - : " لا يكره مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضى منها بآخر".

كما قال الله جل في علاه: "وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ". [البقرة: ٢١٦].

وقال الله - جل في علاه - : " فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا". [النساء: ١٩].

وقد قال النبي ﷺ: " الدنيا متاع ومتاع الدنيا المرأة الصالحة".

دخل سعيد بن المسيب على ابنته وهي تقرأ: " رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ". [البقرة: ٢٠١].

قالت: ياأبتى هذه حسنة الآخرة قد عرفناها وهي الجنة فما هي حسنة الدنيا فقال سعيد بن المسيب: المرأة الصالحة للرجل الصالح.

المرأة كنز وهذا الكنز يغنيك أو يهلكك وهذا عمل الكنوز إما يغنيك ويُرقيك وإما يهلكك فكيف يأستاذ يغنيني ويُرقيني وكيف يهلكني؟!

عرفت الشر لا للشر ولكن لتواقيه *** ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه.**

الكلام في ذلك يأتي في الحلقات القادمة في الكلام عن أن حسن الخلق يتجلى في حسن العشرة مع الأزواج.

هذا يكون تفصيله إن شاء الله في الحلقات القادمة.

أسأل الله جل في علاه أن يجعل ذلك في موازين الحسنات اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد غيرك فيها شيئاً.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الحلقة (١) الشريعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ". (آل عمران / ١٠٢)

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ". (النساء / ١)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ".
(الأحزاب / ٧٠-٧١)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار:

أما بعد إخوتي الكرام:-

مازلنا مع أخلاقيات النبي - ﷺ - وأن أكرم الناس منزلةً أحسنهم خلقاً ومعايير الأخلاقيات أتت بها السُّنة الغراء وأيضاً أعراف الناس تتحكم في أمر من الأمور لأن الأصل في ذلك أن الخلق أصله مقياس الشرع ولأن أحسن الناس خلقاً وأعظمهم منزلةً هو النبي - ﷺ - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إن المرء ليدرك بحُسن خُلُقهِ درجة الصائم القائم ".

وتتجلى معاني حُسن الخُلُق أو معاني الأخلاقيات الرفيعة في تعامل الرجل مع أهله وقد تكلمنا عن ذلك في الحلقة الماضية قال النبي - ﷺ - : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ".
▲

والنبي - ﷺ - لما رفض أبا جهم أن يكون زوجًا لفاطمة عندما تحللت فجاءت للنبي - ﷺ - وقالت: خطبني معاوية وخطبني أبا جهم فقال النبي - ﷺ - : " أما أبا جهم فكان لا يترك العصا من على عاتقيه.. " .

ورد في الآثار: أي أنه كثير السفر وهذا أيضًا يُتعب المرأة فكثرة السفر من الرجل وبُعده عن أهله هذا يتعبها إلا أن يكون هناك وصل بينهما لأن المشاعر تتحرك وإن تباعدت الأبدان.

وأيضًا فسرها البعض: بأنه كان كثير الضرب للنساء.

وقد نهى النبي عن ضرب النساء ، اجتمع النساء في بيوتات النبي - ﷺ - يشتكين من الأزواج حتى منع النبي - ﷺ - من ضرب النساء فجاء الرجال وقالوا: وهذا قول عمر - رضى الله عنه - : زئرننا النساء يا رسول الله! فأباح النبي - ﷺ - الضرب للنساء فأتين النساء يشتكين الضرب من الرجال فقال النبي ﷺ: " ليس بخيركم من يضرب النساء".

▲ مع أن الله قال: " **وَاضْرِبُوهُنَّ** "، وقد سئل النبي - ﷺ - ماحق الزوجة على زوجها فقال: " أن تُطعمها من حيث طعمت وأن تكسوها من حيث اكتسيت.. ". قال: " وإن ضربت فلا تُقَبِّح ولا تُثَرِّب".

▲ أرأيت كيف قال يوسف لأخوته؟! قال: " **لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ** " .

▲ والمرأة قال عنها النبي - ﷺ - : " **إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يُثَرَّب**".

← يعنى لا يُعيرها بالذنب هذا من صفات المنافقين تعيير المؤمنين بالزلات والأخطاء هذه من صفات المنافقين ليست من صفات المؤمنين قال: " **فليجلدها الحد ولا يُثَرَّب**".

▲ قال النبي - ﷺ - : " **فلا تضرب الوجه ولا تُقَبِّح**".

فالخير كل الخير أن لا تضرب النساء وسنبين هذه المشكلة كيف يكون العلاج مع المرأة؛ لأن المرأة كائن خلقه الله مملوء بالمشاعر الرقيقة الرقاقة لكنها عندها بعض من العند الذى يجعلها قد تفقد به زوجها فقد تفقد المرأة الرجل النبيل ولا تستطيع أن تُحافظ عليه وهذا سببها إن شاء الله حتى يكون واضحًا جليًا ثم تُبين كيف كان يتعامل النبي ﷺ مع الأزواج.

الغرض المقصود: أن النبي قال: " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".

▲ لاسيما وأن النبي قد وصّى بالضعيفين أو قال: " **أُحَرِّج على الضعيفين**".

وقد قال - ﷺ - : " الله الله في النساء اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم.. ". أي أسيرات.

وقال: " واستحللتم فروجهن بكلمة الله ".
ولذلك أسماء - رضى الله عنها - قالت: يا بَنِي وَبَنِي بَنِي إِنْ النِّكَاحَ رَقَ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ أَيْنَ يَضَعُ كَلِمَتَهُ ".
وقد قيل لو كيع من نزوجها؟! قال النبيل التقى النقي إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يهنها.

والنبل له أناس وكثير ممن يفقد النبيل بسبب جهله أو صلابه في خلقه أو في تعامله وهذا سنتكلم عنه في المرأة الغير لبيبة التي تخسر زوجها إما أن تخسره كلية وإما أن تخسره روحاً يعنى كسبته جسداً وخسرته روحاً! أعجل قبل أن أبين قول الله - جل في علاه - : " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ".
من خلق النبي - صلى الله عليه وسلم - : وانظر لأن هناك أغرار أغمار لا علم لهم وإذا نظروا بعين عوراء..

نقول: هذا خلق النبي اتسوا بالنبي لم يضرب النبي لم يقبح النبي نعم لكن النبي أدب النبي هجر زينب بنت جحش ثلاثة أشهر النبي ألا من جميع نساءه شهراً كاملاً تأديباً فأنا سأبين ذلك لتعلموا أن الموازنة تكون إن كان الرجل ذا همة ومروءة وشهامة سيكون رجلاً في كل الأحوال.

أبتدأ قبل أن أبين كيف الملاطفة بين الزوج وزوجه إنتساءً بسيد المرسلين **لأن الله هو الذى علمه كيف يتعامل مع نساءه** ساس النساء وجعل الله له أكثر من امرأة ومن ساس النساء ساس الأم ؛ لأن المرأة متقلبة جداً متغيرة جداً ولها كيد ومكر وهذا ليس من عنديات نفسى الذى خلقها هو الذى بين كينونة هذه المرأة مع أنها كائن لطيف جداً أنيس جداً رقيق جداً وله من المشاعر الرقاقة والذائبة التي يذوب الحديد أمامها ومع ذلك لها مالها من التقلبات التي لا يعلم بها إلا رب الأرض والسماء.

لذلك قال بعض الحكماء : المرأة إذا أحبتك رضيت عنك وجعلتك في السماء وإن كانت الأخرى ستصير من الشهداء حتماً لامحالة.

فالمرأة كيف تفقد زوجها؟!

من باب عرفت الشر لا للشر ولكن لتواقيه ** ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه.

قد يكون الرجل النبيل تحته امرأة لبيبة لكن لا تستطيع أن تُقدِّره حق قدره هذه الأسباب الرئيسة في خسران الأماجد!

الجهل المركب بأقدار الناس والله أسس أساساً لتتعلم ذلك والمرأة أحق الناس بأن تتعلم هذا قال الله تعالى: **" وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ "**.

♦ وكانت عائشة تقول كما في مقدمة صحيح مسلم: **" أمرنا أن نُنزل الناس منازلهم "**. والأمر هنا هو النبي ﷺ.

♦ وقال تعالى: **" وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ "**.

← وقد قيل لأبي في تاريخ الخلفاء وإن كنت أتسامح في السير في الأسانيد: دخل علي بن أبي طالب وكان النبي ﷺ - يجلس وبجانبه يجلس أبو بكر - رضى الله عنه وأرضاه - ويلتفت علي لمكان يجلس فيه فقال أبو بكر: هاهنا مكانك يا علي هاهنا مكانك يا أبا الحسن.

يأتسى بالنبي - صلى الله عليه وسلم - الذي قال لأبي بكر: **" يا أبا بكر لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل "**.

♦ وقال النبي ﷺ -: **" ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه "**. ما أحد يقول: العالم زل والعالم له الخطأ نعم هو ليس بملك ومن ادعى أنه خالٍ من العيوب فقد كذب.

♦ **قال سعيد بن المسيب:** وما أدراك من سعيد بن المسيب! سعيد بن المسيب ضرب لنا أروع الأمثلة في الفهم الدقيق لمعادن الناس أمير المؤمنين يرسل إليه ليتزوج ابن أمير المؤمنين بنت سعيد بن المسيب فأمر المؤمنين الدنيا كلها ، أراد أن يخطب بنت سعيد بن المسيب لابنه فأبى عليه سعيد وما ارتضى ورده سعيد له معايير أخرى وكان عنده ابن وداعة وهو طالباً عنده مغموراً بين الطلبة وكان حريصاً على مجلس سعيد بن المسيب طالباً مغموراً فقيراً متزوجاً ضع تحت الثلاثة خطوطاً!!!

♦ **طالباً للعلم مغموراً** يعنى ليس متقناً حتى للعلم لكنه يحرص على المجالس ما من مجلس يكون إلا والملك يكتب اسمه ويقال عند رب السماء: **" هؤلاء قوم لا يشقى معهم جليسهم "**.

كان فقيراً كان مغموراً كان متزوجاً وسعيد افتقده أيام ثلاثة فسأل عنه فقالوا: ماتت زوجته!

← **انتبه وارتكز إلى ما أقول:** أمير المؤمنين يطلب ابنته وابن المسيب يجيب عنه بالرفض وقد جُلد من أجل ذلك وأذى وتحمل المشقة من أجل هذا الباب فيسأل عن ابن وداعة يقولون: تغيب!

ولم تغيب؟! وذلك لأن العالم لابد من أن يتفقد من معه في المجلس تغيب ابن وداعة فسأل سعيد عن ذلك فقيل له: ماتت زوجته!
في الليل البهيم يدق الباب على ابن وداعة ويستغرب لأنه ليس عنده أصدقاء كثر من يأتيني في هذا الوقت!

فيقول ابن وداعة من؟!

قال: سعيد.. يقول: ذهبنه ذهب لكل سعيد إلا شيخه سعيد بن المسيب!

فقال: من سعيد فقال ابن المسيب ففتح لشيخه وسيده ومن له الفضل عليه فوجده يقف وخلفه سواد أي ابنته وكانت بكرًا وكانت جميلة عالمة نبيلة رفيعة خلوقة قل ما شئت!

أمير المؤمنين سيجن لزوجها سعيد لابنه وسعيد يرفض لأن النظر للآخرة لا للدنيا وسعيد هو الذي أخذ البنت وذهب بها لابن وداعة وانتبه طالبًا للعلم مغمورًا فقيرًا وكان متزوجًا فدق الباب عليه فقال لم لم تأتي فقال: ماتت زوجتي فعزاه ثم قال له أعار عليك أن تبني ليلة خلوا من غير امرأة يتعجب ابن وداعة وهو يسمع ذلك!!!

فقال له وما عندك؟! قال ابنتي تزوجها ويقال: أنه تزوجها على درهمين وهو الذي أعطاه الدرهمين!

لا تندش هؤلاء قد عمّر الله قلوبهم بالإيمان وعقولهم بالعلم وللجنان ثبات فكانوا على علم وعلى طلب للآخرة لا للدنيا فألقاها إليه وأعطاه إياه ثم رحل.

النبيل ففي هذا الزمان نادر والكريم أندر ومن لم يعرف قدر الأفاضل يُهدر قدره ولا يُعرف لا يُعَبّأ به مادام أنه يرى نفسه بين الأفاضل فهو ساقط مات قبل أن يقوم ولو تصدر للناس وقال أعمل دعوة لدين الله مادام لم يعرف أقدار من أمامه فهو لا قدر له.

* ابن حزم يقول عنه الإمام الشوكاني: عزّ الزمان أن يأتي بمثل ابن حزم وابن تيمية.

ومن الجهلة من يطعن في ابن حزم صاحب كتاب: (المُحلى) وهو كتاب ليس بالهين وإن كنا نقول بضعف مذهب ابن حزم لقوله برد القياس وعدم الأخذ به لكن هذا فحل فتح الله له أبواب علم لم يفتحها لغيره بحال من الأحوال.

قال الشوكاني: عزّ الزمان أن يأتي بالابن ابن حزم وابن تيمية.
هذا في المتقدمين وهذا في المتأخرين، فابن حزم عالم نبيل لكنه لما وقع في الترمذي وقال هو مجهول!

قال العلماء: نادى ابن حزم على نفسه بالجهالة وبالنقصان.

الإمام الترمذي عَمَّ سنن الترمذي كأن النبي يتكلم في بيتك أنجب تلاميذ الإمام البخاري الإمام الترمذي **فالذي لا يعرف فضل الفضل وقدر الأفاضل هذا مهدور القدر أولاً** كما قلت وإن كان كبيراً من لم يعرف لأهل الفضل فضلهم ليس له فضل ولا يُعرف له فضل ولا يُعَبَّأ بفضله بحال من الأحوال **فمناط المسألة** هنا ابن وداعة كان مغموراً طالباً مغموراً فقيراً متزوجاً وابن المسيب يزنه بذهب ويأتيه بامرأة كاللؤلؤ وفوق ذلك!

يقول: أغار عليك أن تبيت ليلة خلواً من غير امرأة وأعطاه ابنته البكر ليست ثيباً فتزوجها وأغلق عليهم الباب البنت من الحياء لا تُجرب الرجال سقطت فجاءت أمه وقالت له: لا أم لك لا تقربها حتى أعتنى بها فلما جرأتها دخل عليها زوجها وأعطته قلبها ومشاعرها فكان إذا أراد أن يخرج تقول له إلى أين تذهب؟! وهذا من الملاطفة بمكان إلى أين تذهب؟!

فيقول إلى مجالس سعيد فهو لا يرتقى إلا بالمجالس ولذلك قد يكون المرء ليس له مالا لكنه يرتقى بالعلم.

عطاء بن أبي رباح: الدنيا بأسرها كانت تأتي وتلتف بين قدميه **وتسأله عن صحة العمرة والحج وهو أعلم الناس بالمناسك** كان مولى من الموالي وكان أسود أفتس أحذب وكان يقول: جعلني العلم سيذاً.

الإمام الأعمش: هو أعمش سليمان بن مهران : يقول الناس يعظمونني ثم قال: **والذي نفسي بيده لولا الحديث لاستعملتموني بقالاً!** ما يكون لي مكانة عندكم فسبحان الله الرجل كان فقط يجلس في المجالس فأدخله سعيد بن المسيب وأكرمه بكريمته ورق عنده كلمته من لم يعرف لأهل الفضل فضلهم لا يُعرف له فضل ولا يستحق أهل الفضل.

هذا أمر ظاهر وهنا نأتي: المرأة قد تفقد زوجها النبيل بسبب ذلك إن كان عاقلاً حكيماً لن تفقده كليةً يعنى لن يُطْلَق ويهدم بيتاً بناه الله هذا بعيد جداً هدم البيوتات من المجانين المتجرئ الذي يركب الحموقة هو الذي يفعل ذلك ولا يُرَوَّى لأن هذا البيت بناه الله وللرجل ما فيه من الخير الأسرة والزوجة والأولاد فلا يصح هدمه ولا العجلة فيه بحال من الأحوال فقد يكون الرجل عالمًا حكيماً نبيلًا حكيماً أريبًا فتنفقه روحاً يداريها يدانيها لكن لا يُطيقها بحال من الأحوال ويهش ويبش لها ثم يتركها.

قال النبي - ﷺ - : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".

وقال: " الله الله في النساء اتقوا الله في النساء فإنهن عوانٌ عندكم ". أي: أسيرات.

❖ **وقلنا** أن المرأة اللبيرة الأريية الفقيهة هذه تعض بالنواجذ على زوجها إن كان نبيلاً كريماً قلنا بأن المرأة قد تفقد زوجها إما كلياً وإما روحاً وتبقيه ذاتاً وشخصاً يعنى يكره التعامل معها ما أتى ليتجاذب أطراف الحديث إلا نفرتة فينفر من الحوار قد تكون الغيرة أعمتها قد تكون الاضطرابات النفسية التي أنتها أسرعت بها إلى ذلك لكنها ليست حكمة ستفقد.

❖ **كما قلت** إن كان رجلاً نبيلاً كريماً حكيماً لا يهدم البيت الطلاق أمر مستبعد جداً والطلاق مبغوض لأنه هدم البيت وقد يكون حلاً لكن ليس في جميع الأحوال وإلا فكما قلنا بناء البيت لا بد من المحافظة عليه لذلك علمائنا يقولون في مقاصد الشريعة إن وجدت في مسائل الطلاق مخرجاً فأسعى إليه وهذا من باب الفقه أن تجد للناس مخرج لكن بعض الحالات ليس لها مخرجاً كما قال عمر بن الخطاب للرجل: وماذا أفعل لك إن كنت قد ركبت الحموقة!

فانتهى ما أستطيع لك مخرجاً.

الغرض المقصود:

تُكمل مسألة أن تعرف قدر من أمامك قال النبي - ﷺ - : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه".

والذى يهدر أقدار ومكانات الناس مكانته مهدورة ولن يُفلح حتى في الأمم الأمة الإسلامية بأسرها صارت قدوةً وفي المقدمة منذ القرون الخيرية الأولى؛ لأنهم عرفوا أقدار الناس فكان كل رجل يوضع في مكانه، وإن كان له عيب، وإن كان له خطأ، وإن كان له زلل، وإن كانت له معصية، هو ليس ملكاً الذى يدعى الملائكية، فهو يمشى على الأرض كذاب أفك أثيم، كفى بالنبيل نبلاً أن تُعد معايبه؛ لذلك أنظر إلى الفقه عند أهل الفقه، **سعيد بن المسيب يقول: ما من عالم شريف ذو رتبة إلا وفي عيب ولكن من الناس من لم يُذكر عيوبهم لما؟!**

أطغت حسناتهم على سيئاتهم هذا مقياس عزيز قد ضيعه بعض الناس بجهل فآدى جهلهم إلى خسارتهم.

فقال ابن المسيب: **ما من عالم شريف ذو رتبة إلا وله عيب.** ليس ملكاً وكما قلت كفى بالنبيل نبلاً أن تُعد معايبه ولكن بعض الناس لا تُذكر عيوبهم.

ولذلك المعنى: **ما من عالم نبيل إلا وله الزلات والسقطات ولكننا نقيس الناس بالغالب.**

الذهبي: يُقرب ذلك ويقول: نعم قد قال - النبي صلى الله عليه وسلم - : " إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث".

أنظر من أمامك وزن أخطائه مع محاسنه .

لو أن المرأة فهمت هذا المقياس مع زوجها ولكن لم تقدر كل امرأة زوجها لوجاهته ومكانته وتخسره؟!

لأنها ترى منه انبساطاً وتواضعاً ويتعامل معها دون حشمة حتى عند اللقاء فتري منه ما تتعجب منه لكن هذا هو الفقه وإتقانه كن رجلاً حكيماً ذو مروءة وشهامة ذا رأى سديد وعلم متين وعندما تلتقى مع أهلك كن مجنوناً لالا فوق الجنون كن مجنوناً تكون قد أتقنت كل باب على حدة وهذه هي الحكمة بحق أن يضع الرجل الشيء في موضعه.

يعنى بالله إن خلى الرجل بزوجه كان وقوراً وعلاه السكينة وقال يا بُنيتى وتكلم بهذا؟! هذا لا يخرب البيوت فقط! بل هذا مدعاة للتجهيل والسخرية ولذلك قال علمائنا: العلم زينة والعلم رفعة ومكانة لكن يحتاج العلم إلى حكمة ولا ترى ذكراً للعلم في آية من الآيات إلا وقرن معها الحكمة : " إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً " .

فالحكمة تزين العلم وضابط الحكمة بالعلم الصحيح وضع الشيء في موضعه، وأمتنا تقدمت في زمانها الأول وضعوا الرجل المناسب في المكان المناسب لأنهم علموا أقدار الناس أنزلوهم حق المنازل كما ضربت مثلاً رائعاً بذلك خالد بن الوليد أسامة بن زيد سالم مولى أبي حذيفة معاذ بن جبل تعجب إن أردت من قول عمر بن الخطاب: لو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً لاستخلفته على الناس.

لأن النبي أشار عليه بأنه من حفظة القرآن وأنه من أعلم الناس بالقرآن كما جاء في الصحيح قال: "خذوا القرآن من أربعة وذكر منهم سالم مولى أبى حذيفة".

ولذلك مسألة أن تعرف المرأة قدر زوجها وتقدره حق قدره وتُنزله منزلته حتى وإن انبسط معها وتواضع حتى وإن كان في أدق العلاقات بينهما أجن ما يكون تعرف له قدره وتعرف أنه وضع الشيء في موضعه فيتعاضم في قلبها ويتعاضم عليها فراقه ويتعاضم عليها أن تخسره **لأن من حظى اللؤلؤة الثمينة يتعاضم عليه فقدها** إلا مجنوناً لأن المجنون لا يعرف قدر اللؤلؤة الثمينة.

ولذلك الأعمش لما دخل السوق وسط الباعة التف حوله طلبة العلم الأعمش سليمان بن مهران قال أحد الناس من هذا الذى يلتف الناس حوله!!! قال ذلك لأنه يجهله ويجهل ما يحمله!.

ولذلك المرأة إن قدرّت زوجها حق التقدير وأنزلته حق المنزل لا تفقده أبداً وتكسب منه الاحترام والتوقير والرفعة ويأبى أن يرى دمة تذرف من عينيها ولا تراه إلا كريماً حنوناً جواداً.

لكن بعض النساء تخلع طوق الأنوثة من عنقها تراها صلبة إن جاءت الحاجة أو الإعواز حملها الطلب على استعمال الألفاظ الغير راقية ويحملها ذلك على السب والشتم والانتقاص من القدر في التعامل مع زوجها هذه بنيسة تعيسة لأنها فقدته شهامةً ومروءة فقدته؛ لأنها تكون بذلك صلبة تتعامل معه برجولة فهي بذلك تقف له ندّاً بخشونة لا بأنوثة ولا برفق ولا بلطف المرأة أفضل ما فيها المكر والكيد والأنس واللفظ فإن ربطت هذا بذاك تجعل الرجل تحت يدها وهناك حديث ضعيف نستأنس به في المجال أن النبي قال: " النساء لُعب فليستحسن أحدكم أي اللُعب تكون بين يديه".

أنا ألتفت إلى معنى هذا الكلام بأن تشبيه المرأة بأنها لعبة معنى ذلك أنها ملهاة للرجل وأنها تزيل همه وغمه وهي أعظم سكن له هذه هي العين الأولى في المسألة أي أن المرأة كاللعبة والعين الأخرى من الذي يقتنى اللعبة ومن الذي تهفو نفسه إلى اللعبة؟! لو أجاب النساء عن ذلك لكان خيراً الإجابة هي: أن الطفل هو الذي تهفو نفسه إلى اللعبة فالرجل يكون بين يدي المرأة اللببية طفلاً مدلاً فالمرأة اللببية الأريية تجعله كذلك لكن تقف له ندّاً بصلابة وبقوة رجل لرجل؟! انكسرت!!!

والرجال أحد رجلين:

أحدهما صلبٌ وليس عنده حكمة ولا عقل وأيضاً خالياً عن العز وهذا المرأة معه إن لم تُقتل طُلقت في نفس الوقت؛ لأن من النساء من عندهن مسألة التسلط والسيطرة وهذا خسران ليس بعده خسران المرأة عندما تستكن وتظهر ضعفها ورقتها تمتلك كل شيء ولكن كلما تصلبت وصارت رجلاً لرجل كسرهما غير العاقل وكسرهما طلاقها ولذلك البيوتات تتهدم بمثل هذا والأصل الموعول عليه المرأة السبب قد يتصلب الرجل بحماقة وتكسبه الرعونة لكن من الذي جر الحماقة ومن الذي جر الرعونة المرأة فعلى المرأة أن تعرف كيف تكسب هذا الرجل وتجعله طفلاً مدلاً بعد ذلك لا تلومن المرأة إلا نفسها وهي التي أتت بنفسها بما حدث تصلبت فكسرها لأنه سهم هو رجل عنده ما عنده من الرجولة التي تمنعه لأنه رجل ذو مروءة رجولته تمنعه من أن ينكسر أمام المرأة فتطلق فهو ليس حكيماً لكن له شهامة ومروءة فيطلقها أو يقتلها والطلاق أشد من القتل ولا نقول يقتلها لكن يطلقها.

الرجل الثاني: يكون رجلاً حكيماً عالماً لببياً عاقلاً ينظر في الخسارات والمكاسب ومقاصد الشريعة فيحكم المقاصد ليغلب المصلحة على المفسدة فيقول أنت صلبة أنت رجل البيت!!

وتكون قد فقدته روحًا لا مشاعر تجدها منه لا لطف لا مؤانسة الذى بينه وبينها إقامة البيت وتربية الأولاد أكثر البيوتات في هذا الرجل يكون حكيماً وهذا هو الحق أنا أعضضه ما يريد خسارة فوق هذه الخسارة لأن الولد إذا فقد الأب وفقد الأم لا بد شخصيته لن تكون سوية بحال من الأحوال خسارة ليست بعدها خسارة إلا إذا كان لا بد منه حتمًا هذا أمر آخر.

فتكون خسرت روحًا لكن المرأة اللطيفة الرقيقة العاقلة تستطيع أن تحرك الرجل كيف شاءت بعقلها وبارادته وهو يسعد بذلك جعلته طفلاً مدلاً جعلته سيداً حقاً فيستشعر ذلك منها فيحملها فوق رأسه هكذا تكون المرأة مع الرجل

لذلك أختم هذه الحلقة بهذا البيان العجيب الذى تراه من سيد المرسلين هذا سيد الأولين والآخرين مع صغيرة شابة تزوجها بكرًا وهى سيدة نساء العالمين والخلاف بينها وبين خديجة لكنها على الإطلاق سيدة نساء العالمين عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - وللحديث بيان جلي في أن عائشة توفرت فيها الصفات التي تكلمنا عنها امرأة رقيقة لطيفة لها مالها من حسن المقدمة لزوجها من المؤانسة والملاطفة وتجادب أطراف الحديث أنظر ماذا كان يفعل معها النبي - ﷺ - قالت: عقد على وأنا بنت ست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين».

أنظر هي كم من العمر والنبي كم من العمر!!

وبينهما الملاطفة والمؤانسة لأنها قررت أن تكون امرأة حقًا وهو سيد الأنبياء والمرسلين عقل حكمة شهامة مروءة شجاعة نبل هذا هو النبي ﷺ.

فكان يتسابق معها ففي سفرة من السفرات كان يأتي لها ويقول لها تسابقيني؟! فتقول نعم: فيقول للجيش تقدموا فيسبقها فذات مرة كانت صغيرة والنبي حمل اللحم فبعدها بسنين حملت اللحم فقال لها تسابقيني قالت: نعم فقال للجيش تقدموا فتقدموا فسبقها فقال لها: هذه بتلك.

وهذا فيه من المؤانسة والملاطفة وهذا يجيش المشاعر عند المرأة.

كيف يتسابق الرجل مع زوجه في الأمور الحياتية وإن كان وقورًا وإن كان نبيلًا وإن كان نبيلًا وإن كان له ماله من المكانة كيف يكون مع زوجه؟! هذا سنُفصِّلُه إن شاء الله في الحلقات القادمة.

نسأل الله أن يجعل ذلك في موازين الحسنات وأن يلهمنا الإخلاص اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد غيرك فيها شيئًا.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الحلقة (٣) الثالثة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ". (آل عمران / ١٠٢)

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ". (النساء / ١)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ". (الأحزاب / ٧٠-٧١)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار:

أما بعد إخوتي الكرام:

مازلنا مع الخلق الحسن مازلنا حسن التعامل مازلنا مع العشرة الحسنة مازلنا مع تكامل درجات الإيمان في قول نبينا العدنان - ﷺ - : " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ".

وقال الله تعالى: " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.. "[النساء: ١٩].

وبيننا أصناف النساء في الحلقة الماضية والآن نقول:

أن لدينا فسحة ولنعلم أن مسألة العاطفة والملاطفة والأنس بين الزوجين أمرًا ومطلبًا شرعي ومقصد من مقاصد الشريعة لبناء الأسرة الإسلامية، فإن بناء الأسرة إن كان على مطلب واضح جلي وعلى ود وملاطفة وموانسة ومحبة وعمق محبة، بل وتعاون على الخيرات المجتمعات بأسرها تنمو وترتقى وتعلو وتسمو وهذا الأساس أن نقول: أن الإنسان يحاكي غيره وأن الإنسان صاحب الهمة الراقية لا يكون منفردًا في طريق يأتسي فيه بغيره وأن ينظر إلى

أصحاب الهمم الراقية فيفعل مثلما يفعلون وحسن الأسوة في ذلك هو الذي جاء فعلم البشرية بأسرها وساد الناس أجمعين وهو سيد الخلق أجمعين وهو النبي الأمين ﷺ. **قال: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر".**

ساس النساء وساس الأمة بأسرها وعدد الله له أزواجًا كما فعل ذلك مع الأنبياء السابقين قبل النبي - ﷺ - فهو ليس بدعًا من الرسل حتى لا يأتي من الرعاع الذين لا يفقهون شيئًا ومن المستشرقين الذين يضربون الدين بشخص نبينا الكريم في أزواجه وتعدد الأزواج.

سليمان: كان عنده مائة امرأة يطوف عليهن وقد يكون أكثر من ذلك لأنه قال: **"لأطوفنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ"** **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً** [الرعد: ٣٨].

← **ولأن الذي يستطيع أن يسوس النساء يستطيع أن يسوس الأمة بأسرها** وهو الذي طبق مراد الله - جل في علاه - لأن الأوامر تنزل من الله على رسوله وعلى الأمة معه وطبق قول الله تعالى: **"وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ"**.

← وهو الذي ضرب لنا أروع الأمثلة في حسن الخلق والأنس والملاطفة يعنى من الممكن أن يُعبر المرء المكلف عن مشاعره نعم بل هو المطلوب بل هو الأساس فالذي يحجب مشاعره هذا إما أن يكون صلبًا وطالمًا كانت الوحشة ومسألة الروتينية في التعامل أو يكون ممن ليس له ذوق راقى حتى يرتقى به الإنسان وبدون مشاعر ما يستطيع أن يعاشر أحدًا وما يستطيع أن يكون في هذه الدنيا موائمًا هينًا ليئًا رقيقًا من أحسن الناس صنعًا في التعامل مع الناس بالذوق الراقى والمشاعر الفياضة التي تكون على الإنسان أساسها أن الإنسان يحب الله ويحب رسوله ﷺ.

← ثم بعد ذلك يتعامل مع الناس بهذا الحب والود والرفق والأنس وهكذا يكون الإنسان لأن النبي - ﷺ - قال عموماً: **"إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لم يعطه على غيره"**.

← وقال النبي - ﷺ: **"يدخل الجنة أقوامًا أفندتهم كأفئدة الطير رقة"**.

← وقيل: **"توكلاً"**.

← وهناك ملازمة بين الرقة وبين حسن التوكل على الله.

← **يتجلى لنا حسن الخلق مع النبي - ﷺ - ونحن نعيش في هذه الأيام معه كيف كان يتعامل مع أصحابه - رضي الله عنهم - وأرضاهم ويتعامل كيف مع أزواجه نحن الآن يُنصب نظرنا وبصرنا على أن ننظر كيف كان يتعامل النبي - ﷺ - مع أزواجه حتى نأتسى به حتى تستقر**

البيوتات، الآن إحصائيات الطلاق صارت كثيرة جداً لو أن أحداً جعله الله منصباً في حل إشكالات البيوتات، سيعلم أن عدم الأُنس بين الزوج وزوجه قد تفاقت وأيضاً الوحشة الشديدة عدم تجاذب أطراف الحديث بين الزوج وزوجه هذا أمر البيوتات مغلقة ليس فيها إلا أمور الطعام والشراب وانتهى، الأمر وحتى الالتقاء لا يكون إلا على تباعد الفترات؛ لأن القلب لا يهفو إليه، ولأن القلب لا يميل إلا صاحبه، وحتى في هذه اللحظات لحظات اللقاء ما يكون فيها من أن دقات القلب ترتبط بدقات القلب والمشاعر تختلط مع المشاعر فيعيش للمرء كأنه في جنة يحتسب الأجر في ذلك ويزيد الأُنس والود والملاطفة والمؤانسة ما بين الرجل وبين زوجته قال النبي ﷺ: "وفي بضع أحدكم صدقة".

يعنى هو له في ذلك الأجر العميم بعدما يقضي وطره ويكون في نشوة ومتعة يرضى الله عنه في هذا الحال ويرضى عن زوجه وزوجه ترضى عنه ويكون الوأم بينهما والقرب والترابط فلا يمكن أن يُفطر فيها بعد ذلك لكن أنت ترى كثير من الحلف بالطلاق ترى الطلاق المعلق والصريح ترى بعد ذلك عدد الطلاقات التي تأتي وتنهال كرصاصات البندقية وكيف تأتي بعد ذلك لمكانها لا أدري؟!

الغرض المقصود أننا قد فقدنا المؤانسة والملاطفة فنرجع ونعود إلى الرعيل الأول لأنهم سادة الناس لأنهم هم الذين خاضوا الدنيا بأسرها وملكوا الدنيا في مدة وجيزة من عمر الزمن: "وَعاشرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ". " اكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".

كيف كان النبي - ﷺ - لأهله؟

خذ تصدير الباب عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل كان رجلاً حريصاً قبل ثلاثة أشهر أسلم وطلب المدد من النبي وجهز سرية وأمر عليها أبو عبيدة بن الجراح وجعل منهم من؟

عمر بن الخطاب وأبو بكر أماجد الصحابة فعمر بن العاص أراد أن يعلم مكانته من النبي وهو له مكانة لكن لا ترتقى فوق مكانة هؤلاء فجاء للنبي وسأله سؤالاً صريحاً فقال: "من أحب الناس إليك؟ فقال عائشة فقال لست عن النساء أسأل قال أبوها".

صدر الباب بعائشة فكان النبي - ﷺ - يحب عائشة ويحب أزواجه لكن يظهر على النبي - ﷺ - الود والملاطفة التي ظهرت جليلة في تعامله مع عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - أخذت قلبه عائشة - رضى الله عنها - كانت تقول في حادثة الإفك: الذي يورقني أنني لم أجد الود الذي أراه وأعتاده من النبي - ﷺ - فكان يدخل ويقول كفييتكم ولا يزيد.

لأنه كان يدخل عليها بهشاشة وبشاشة ويدخل بكل ود وعاطفة ومشاعر مفعمة التي غمرت قلب عائشة - رضي الله عنها وأرضاها وهي ملكت شغاف قلب النبي - ﷺ - كالحب الجبلي بين الزوج وزوجه.

النبي - ﷺ - كما قلنا كان في سفرة وعائشة صغيرة السن لأنها قالت رغم أنف الجاهلين قالت: عقد عليّ النبي - ﷺ - وأنا بنت ست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين.

وهذا الحديث في الكتب التسعة المعتمدة والذي يتكلم بغير هذا نقول له أسكت حتى لا يضحك عليه أهل العلم نقول له: يا جاهل العلماء أجمعوا على أن الكتب التسعة خرّجوا هذا الحديث.

وانظر إلى البلاد الحارة في الخليج ترى البنت التسع سنين كيف تكون؟! امرأة تلد وتحمل.

ففي السفرة كانت عائشة بنت صغيرة لا تحمل اللحم فيقول لها النبي - صلى الله عليه وسلم - : "تسابقيني؟ فقالت نعم..". وهو النبي قال: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر".

النبي الذي قال فيه ابن عباس رضي الله عنه: «ما خلق الله تعالى، وما ذرأ، وما برأ نفساً - أكرم عليه من محمد-، وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره».

النبي الذي صلى بالأنبياء صفًا عندما أسرى به يتسابق.. إذن ما أحد يقول لي الوقار والسكينة أنا قلت لك اخلع كل ذلك على شماعه خلف البيت وادخل كن كما شئت تنبسط جدًا ولذلك قالوا: ابن العالم غالبًا لا يكون عالمًا لأنه يرى أباه منبسطًا معه يمزح يضحك يلعب معه الكرة!!!

يأخذه يصارعه هذا هو الود في البيت فهنا الزوج إن دخل بزوجه ينسى كل شيء ينسى أن الله قدّمه بين الناس ينسى أنه كان إمامًا لهم ينسى أنه كان معلمًا فقط الجنون ، فقط الجنون!!

أنا أعني ما أقول وأعني به فقط الجنون إلا أن يأتي وقت العمل خلاص يُنجي الجنون في عنبره وبعد ذلك يستعير الجنون مرة أخرى عندما ينتهي من عمله الذي ألزمه الله إياه هذا هو هذه الجدية..

ولذلك عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - يقول لها تتسابقين؟!

والجيش يقاتل الكفار وفي نفس التوقيت لا يُضيع حق المرأة لأن المرأة كما قلت غب عنها يومك شهرك عامك وفي كل يوم قطرة من العاطفة من الود من الملاطفة من الأنس تغزل في مواطن جمالها وإلا فرقة مشاعرها وإلا ففي لطف تعاملها وانظر ماذا سيكون لك بعد ذلك هذا محيط يفيض عليك إن استطعت أن تحرك هذا البحر كن لبيبا في هذا الباب.

♦ **فالغرض المقصود** أن النبي قال لها: "تتسابقين؟ فقالت نعم ..".

وهو سيد ولد آدم الذي قال فيه ابن عباس: «ما خلق الله تعالى، وما ذرأ، وما برأ نفساً -أكرم عليه من محمد-، وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره».

← **فقال لها: تتسابقين قال نعم فأمر الجيش أن يتقدموا..**

← **وما قال: عمر لو سمعني أبو بكر لو سمعني!**
عثمان! علي!

← **فهو الذي يقول إنئتسوا بي هكذا أنا وأنا سيدكم وأنا سيد الناس أجمعين** وهذا الذي يجب أن يجتمع في شخصيتي فلذلك يستغربون من الرجل الحاد جداً ولين جداً لا بد القوة الغضبية والعصبية تكون في الإنسان ولا بد من أن يكون شجاعاً مقداماً ولا بد من أن يكون هيناً ليناً رقيقاً محبباً ومن الممكن أن يكون ممن يتأخر إن استدعى الأمر للتأخر ويتقدم عندما يستدعى الأمر للتقدم وأن يكون ذكياً يتكلم حينما يُطلب منه الكلام ويصمت حين وقت الصمت ويتأمل حين وقت التأمل وهكذا تكامل الشخصية فتقود الناس وقد قاد النبي الناس بذلك.

← **فلذلك: أمر الجيش أن يتقدم ليتسابق النبي مع زوجه فلتسمع الدنيا لما في ديننا من رحابة ومن فسحة ولتعلم أن هذا ديننا لكن تحتاج إلى أن نعقل ديننا نحتاج إلى أن ندقق النظر في حلو شريعتنا وسعة شريعتنا التي لم تترك شاذة ولا فاذة ولا شاردة ولا واردة ولا صغيرة ولا كبيرة ولا دقيق ولا جليل إلا أنت به ولذلك قال الشافعي رحمه الله الشافعي قال: ما من نازلة إلا وفي كتاب الله حلها علمها من علمها وجهلها من جهلها.**

← **كن على يقين بأن الله ما ترك شيئاً إلا وبينه لك :** فتسابقت عائشة مع النبي - ﷺ - فسبقت النبي - ﷺ - ما حملت اللحم وحمل اللحم ويتسابقان صغيرة السن والنبي لما تزوجها كان عمره - ﷺ - ٥٤ سنة في القريب إن لم أكن ضابطاً للسن بالضبط وهي تسع سنوات فسبقت النبي ثم بقيت بعد ذلك أعوام فخرج سهمها فسافرت مع النبي - ﷺ - **ثم قال لها النبي - ﷺ - :** تتسابقين؟

يُذكرها بالماضي فقالت: نعم أتسابق فقال للجيش تقدموا لما؟! ليسابق سيد خلق أجمعين زوجه فتسابقا فسبقها النبي - ﷺ - فقال لها مبتسماً: هذه بتلك.

يعنى: واحدة بواحدة ربحت الأولى؟! أنا ربحت الثانية.

← وهنا يستطيع الرجل أن يتسابق مع زوجه في ألعاب كثيرة نحن الآن في زمن الاختراعات والله ما أكثر ذلك في هذا الزمان ما في شيء يحرك العقل إلا الله فلا حرج أن يستعمل ذلك

الزوج مع زوجه وله في ذلك عظيم الأجر لأن في ذلك الملاطفة بين الزوجين **ولك أن ترى ذلك في كلام عائشة: - رضي الله عنها - ليس من كلامي أنا!**

قالت: كنت أَلعب مع صويحباتي يعنى جوارى صغيرات السن تسع سنوات تلعب معهن قالت: فكان يدخل النبي - ﷺ - فيتقمعن منه يعنى: يختبئن منه وتفر كل واحدة خوفاً من النبي فينظر النبي لعائشة: عين النبي إن صح التعبير تقطر حبا لعائشة فينظر إلى الجوارى فيأتي بهن لعائشة - رضى الله عنها وأرضاها - لتكمل اللعب معهن!!!

يا لها من أخلاقيات راقية يا لها من مؤانسة.

"وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ"

من المعروف أنه في ديننا فسحة للمشاعر والحب واللطف والمؤانسة بين الزوجين ليستقيم البيت ويستقيم الأولاد وتنتعش الأمة بأسرها باستقرار الأسرة المسلمة فنسأل الله - جل في علاه - أن يجعلنا ممن يتعلمون العلم فينفعهم الله به فيطبقون هذا العلم جميعنا يحتاج ذلك فاللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا واجعلنا ممن يتعلم ويتعبد وينشر ذلك بين الناس.

"وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ"

"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".

قلنا: كيف كان النبي يُظهر المحبة والود والعطف لعائشة وذلك كان جلياً لا يخفى بحال من الأحوال.

الصحابة الكرام كانوا يتقصدون نوبة عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - ففي ليلتها كان الصحابة يرسلون إلى النبي الهدايا حتى غارت النساء وكان منهن ما كان وهذا سيأتي بإذن الله في كيفية تعامل النبي - ﷺ - في كل الأحوال وكيف كان يظهر الحب والود والعطف بينه وبين أزواجه وكيف يُهدب الغيرة ويضع الأمور في موضعها الصحيح ويؤلف بين القلوب ويُعلم الجاهل كل هذه الأمور لو اكتسبها الرجل لعاش سعيداً في الدنيا بأسرها مع آل بيته بل وتقدم الناس صار إماماً للناس.

سُئِلَتْ عائشة عن أي شيء يبدأ به النبي - ﷺ - إن دخل البيت فقالت: السواك: كان يتسوك ﷺ.

وتعلمون أن السواك مطهرة للفم كما قالت عائشة - رضى الله عنها - لأن السواك مرضاة للرب مطهرة للفم ولأن ذلك لابد منه ليكون الزوج في أفضل هيئة وأحسن حال في تعامله مع زوجته وكذلك العكس بالعكس.

يعنى لما يدخل الزوج ويهش ويهش في وجه الزوجة وينظر فيها حيث ما كانت أي حال كانت عليه المرأة ينظر إليها ويتمثل بيتاً من شعر يتغزل به في موطن جمالها فإن بدأ اللقاء بحرارة سيكون الأمر أرقى ما يكون.

أما إن دخل عبوساً غاضباً لا يكلم أحد سيرتب على ذلك المشقة والصعوبة ووعورة اللقاء في تجاذب أطراف الحديث بينهما في هذا الباب البداية مهمة جداً في هذا الباب.

فكان النبي يتسوك لأنه قد يُقْبَل امرأته وقد يتكلم وهو بالقرب منها فلا تجد منه إلا الرائحة الطيبة وهكذا كان سيدنا محمد - ﷺ - ما كان النبي يحب أبداً أن يظهر منه ما يُنفر الناس منه أبداً هو الذي قال: " من أكل من هذين الشجرتين الخبيثتين: الثوم والبصل: فلا يقربن مساجدنا".

وفي رواية: " فلا يقربن مصلانا".

وقال: " إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم". لذلك كان يمتنع عن أكل البصل وإن كان مطبوخاً وإن عمر قال: أميطوه بالطبخ. وإن كان مطبوخاً قال لأبى أيوب الأنصاري: " أنا أناجي من لا تتأجى".

يعنى كان يأتيه جبريل فلا يضره أبداً فالنبي كان يُمَقَّت جداً أن تُشَم منه رائحة غير طيبة تؤذى من حوله، بل انظر لما دخل النبي - ﷺ - على عائشة وقالت لزَيْنَب قولي له: أكلت مغاير؟ وهذا سيأتي تفصيله فالغيرة منعت النبي مما يحب - ﷺ.

فالنبي قال: " لا ما أكلت ولا تخبري أحداً وأقسم أن لا يأكل مغاير".

ويقال أن هذا سبب نزول: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (١) / التحريم.

وقيل بسبب مارية وهذا سيأتي إن شاء الله تفصيله لكن أقصد أنه كان راقياً سامياً بأبي هو وأمي يحب أن لا يُشَم منه إلا الرائحة الطيبة فكان يتسوك إن دخل على زوجته لأنه يُقبلها ويُقبله

يراها بحرارة وتراه بحرارة هذه هي السنة التي يُطبقها رسول الله - ﷺ - ليأتسَى بها الناس بعد ذلك.

زن نفسك على كل هذه المواقف النبي - ﷺ - كانت عائشة معه والحبشة يلعبون بالحربة فأحب النبي النظر إليهم وهم يلعبون فأراد النبي أن ترى عائشة ذلك لأنه إن أحب شيئاً يحب لعائشة أن ترى ما يحب وأن تسمع ما يحب أن يسمع فكان يحب لها كل ما يشتهيها فقال لعائشة: يا عائشة تحبين أن تنظري؟ قالت نعم وهى تقول: ما لي رغبة قوية للنظر لكنى أردت أن يرى نساء النبي - ﷺ - موقعي منه!

فقط إشعال الغيرة ضرائر!

هي تريد أن تبين للجميع أين أنا من رسول الله فالنبي وقف لها عند الكوة يعنى الفتحة وقف لها وهى تقول: ووضعت خدى على خد النبي يا للطف والأنس قالت: فوضعت خدى على خد النبي - ﷺ - فرأيت الحربة من الحبشة وهم يلعبون بالحربة في المسجد في الأعياد؛ لأن عمر لما اشتد عليهم في ذلك قال له النبي: " دعمه فإنه يوم عيد".

قالت: أردت أن يرى نساء النبي مكانتي عند النبي - ﷺ .

وأما عن تلفظ المشاعر قبل اللقاء هذا مهم جداً قال الله تعالى: " وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ".

الأمر ليس عملاً معيئاً أو مكينة معينة فالمسألة فيها من الذوق قبل الالتقاء فلا بد من إظهار المشاعر ولا بد من التغزل ولا بد من التقرب امتلاك الأذن عند المرأة يمتلك الرجل بها القلب وإن امتلك القلب صار سيذاً فكان النبي - ﷺ - يلاطف عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - وكان يتغزل في محاسنها وإن كان هناك أحاديث ضعيفة لم تصح لكن كما قال الإمام أحمد بن حنبل قال: في باب السير خففنا وإذا جاءت الأحكام شددنا في مسألة الأسانيد.

فهنا نقول: أن في بعض الروايات الضعيفة يُستأنس بها في هذا الباب بأن النبي ﷺ كان يدخل على عائشة فتقول له: تُحبني؟

فيقول: نعم أحبك..

فتقول يا رسول الله كيف حبك لي؟

فكان يأخذ بطرف الثوب ويعقده عقدة ويقول: قلبي عقد على حبك.

أي: أنت قد امتلكتِ أو امتلأ قلبي بحبك.

وقد قال النبي - ﷺ - في الحديث الصحيح الذى نتمسك به قال: " إني رُزقت حبها ". فقال: " رُزقت حبك ". الله - جل في علاه - هو الذى أوضعك في قلبي.

ولذلك ما أحد يلوم أحد على أن زيد أحب عائشة أو عائشة أحبت عمرًا أو عمرًا أحب هندًا القلوب يملكها الله - جل في علاه - يضع فيها ما يشاء هذا من الله في السماء ليست في الأرض والأرواح جنود مجندة لا بد أن ترى التقارب القلبي والعاطفي لا بد يكون في تقارب في سمات الشخصية هذا في الغالب ولذلك كل قاعدة لا تكون عليه لكن تكون أغلبية إن وجدت المحبة أو عمق الحب بين رجل وامرأة فاعلم بأن لها من التوافق في سمات الشخصية والحظ الأكبر.

فقال: " أنا رُزقت حب عائشة " فالله رزق قلب النبي - ﷺ - حب عائشة فكانت تقول: تُحِبُّني؟ فيقول " نعم " .

لكن الرجل يخل بهذه الكلمة على زوجه بل يرى أنه كبير على أن يقول ذلك هذا للصغار للشباب المراهق وهذا خطأ بين جدًّا أنظر النبي يُجيش الجيوش ويُجهز للغزوات ويأتي عمرو بن العاص ويقول يا رسول الله: من أحب الناس إليك فيقول النبي: " عائشة " .

ولذلك الحديث وإن كان فيه ضعف لكن المعنى صحيح وله شواهد تُقوى المعنى : " لا يُرى للمتحابين سوى النكاح " .

يعنى أفضل شيء هنا طالما التقت القلوب أن تلتقي الأبدان وهي غايتها القلوب تصل إلى الأبدان ما لها حل إلا ذلك.

فُقالَت: تُحِبُّني؟

فُقال: أُحِبُّكِ.

قالَت: وكيف حبكِ لي فعقد على ثوبه عقدة وقال كهذه العقدة. يعنى قلبي عقد على حبكِ.

فكانت في كل المجامع تجلس وهي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - تترفع بين النساء. فُقالَت عائشة: كيف حال العقدة؟! فقال على ما هي عليه.

الحديث ضعيف لكن المعنى يبين لنا أنس الرجل بزوجه وأيضًا تبادل كلمات الحب والغزل والشعور بينهما يُعمق العلاقة الأسرية كما يُعمق العلاقة بينهما في طاعة الله - جل في علاه - لأنه إن أحبها أخذ بيدها لتُصلى أو يعلمها ما جهلت أو قرأ عليها حديثًا تتعلمه وإن أحبته وكانت أتقن منه ضبطت له القراءة وضعت له تحت الخطأ خطأ حتى يتعلم لأنها تحبه وتُحب له الخير وتُحب تقدمه لا تأخره هكذا يكون بين المتحابين.

وهنا عائشة تختبر حبها للنبي - ﷺ - ذات مرة دخل عليها النبي - ﷺ - فُقالَت له: تُحِبُّني؟! فقال: " نعم " فُقالَت: دلل لي على حبكِ فأعطاه دينار.

وطبعًا الدنيا بأسرها لا تساوى الحب الإنسان لا يمكن أن يكون سويًا إلا إذا استقام قلبه. فليست المسألة هي الدينار لا!

بل المعنى أنه يحبها وما يملكه فهو لها.

أما رأيت يقولون: الشعور أقوى من الفعل.

أن أشعر باستقبالك لي أفضل من أن تُطعمني وأن تُقدم لي أشهى ما عندك.

فقط أشعر بأنك تشتهي أن أكون عندك أو أنك تشتهى إلى رؤيتي فالشعور يغنى عن كل شيء الشعور يغنى عن الطعام والشراب هو الإنسان لا يتحرك إلا بشعور في هذا الباب.

فلذلك لما عائشة تقول للنبي - ﷺ - برهن لي ويعطيها الدينار ليس الدينار مقابل الحب أبدًا هذا

فهم مغلوط لكن كأنه يقول أنا من علامة المحبة أن ما أملكه كله يكون تحت قدمك لحبي لك

فأهاديك بكل ما أملك وفوق ما أملك فتستشعر هي بذلك لكنه لما أعطى وجعل البرهان عطاء

قال: هنا يأتي العدل لأن الميل القلبي لا عدل فيه لأن النساء عندهم التعامل في هذا الباب فالمرأة

التي تقول بمنع التعدد تقول: وماذا تفعلوا مع قول الله - جل في علاه - : **" وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ**

تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ.."

هذه ماذا عندك فيها؟! فهم مغلوط لأن المعنى: لن تستطيعوا أن تعدلوا في ميل القلب أما العدد

فقد قال تعالى: **" فَاتَّكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ.."**

فالمقصود من **عدم العدل** هو في ميل القلب لأنك لا تملك.

والحديث وإن كان فيه ضعف لكنه يظهر معنى الآية وضابط الآية وهو قول النبي - صلى الله

عليه وسلم - : **" اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تُوَاخِذْنِي فيما تملك ولا أملك."**

والقسم فيه خلاف فقهي بين الفقهاء هل هو واجب على النبي أو لا؟

يعنى النبي يبيت حيث شاء أو القسم واجباً عليه؟

خلاف بين الفقهاء:

فالأصل أنه يحب عائشة أكثر من نسائه وإن كان يحبهن جميعًا.

فتحرك القلب بالمحبة في هذا الباب فلما أعطاها الدينار كان لابد من التسوية فأعطى كل نسائه

كما أعطاه.

لكن عائشة كانت تترفع في المجامع فقالت يا رسول الله؟

من أحب نسائك إليك وهذا السؤال أمام الزوجات!!!

فالنبي يؤتى بالوحي ألا يأتي بالفراسة؟!

فنظر فابتسم ثم قال التي أعطيتها دينارًا!

فوقفت تبتسم وتفتخر كأنها المخصوصة بالدينار وهو أعطى لكل واحدة دينارًا.

وهذا فعل النبي - ﷺ - في مسألة أدب القسم.
لكنه كان يشعر كل من حوله أنه يحبه هو.

وكان يُظهر مشاعره فالرجل الذي يكتُم مشاعره هذا أو ما يستطيع أن يُعرب عما في داخله هذه مشكلة كبيرة للزوجة وهي المفروض أنها تجاهد لتحريك هذه المشاعر الكامنة داخل الرجل فيكون كالفيض ينساب كالماء.

فهنا هذه الملاطفة والمؤانسة والحب والعاطفة لا بد من أن تظهر ليستقيم البيت.

لون آخر في التعامل وهو من الأهمية بمكان أن: هدهدت الجبال أهون من جرح المرأة في كرامتها!

حتى المرأة التي فعلت الفاحشة أراد الشرع أن يُعطى لها كرامتها في هذا الباب وأن لا تُجرح وانتبه هذا العلم حتى تعلم كيف جهل التعامل حتى مع من يسقط من العصاة!

ونحن كلنا فينا المعصية اللهم اغفر لنا يا رب العالمين.

أنظر إلى هذه الشريعة الغراء كيف كانت تفعل.
النبي يقول عن الأمة ليس حرة الآن والأمة عندها بعض التبجح يقول: "إن زنت أمة أحكمم فليجلدها الحد ولا يُثرب".

انتبه هذا هو الإطار الذي أتحدث عنه احفظ كرامة امرأتك إلا إذا هي تجنت على كرامتك الأمر منتهى هي التي جنت على نفسها لكن طالما أنها في حد وتعرف كيف تحترمك وجب عليك أن تفيض عليها احتراماً وتوقيراً لمكانتها وهي تحب ذلك إياك أن تجرح امرأة جرح المرأة عميق يشق عليها جداً هو هدهدت الجبال أهون من ذلك.

فهنا لا بد من أن تعرف لها كرامة. قال النبي: " فليجلدها الحد ولا يُثرب ". يعني لا يسب ولا يقول لها: يا فاعلة الفاحشة يا زانية!!
لا بل يغض الطرف لكن يقيم عليها الحد من أجل تحقيق شرع الله - جل في علاه - ويغض الطرف.

ومن يفضح مسلماً بمعصية سيفضحه الله لامحالة وهذه صفات المنافقين ليست صفات المؤمنين، قال النبي - ﷺ - : " يا معاشر من آمن بلسانه ولما يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عورتهم فمن تتبع عورة مؤمن تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في قعر بيته".

إلى مسألة حفظ كرامة المرأة يأتي تفصيلها إن شاء الله في الدروس القادمة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وجزاكم الله خيراً.

اللهم أجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد غيرك فيها شيئاً.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

الحلقة (٤) الرابعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " . (آل عمران / ١٠٢)

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " . (النساء / ١)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا " . (الأحزاب / ٧٠-٧١)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار:

أما بعد إخواني الكرام:

قال الله تعالى: " **وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** " . [النساء: ١٩].

وقال النبي - ﷺ - : " **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي** " .

بيننا في الحلقة الماضية كيف علو خلق النبي - ﷺ - وسمو فعله الرفيع في تعامله مع أزواجه بالكلام العذب الرقيق وأيضاً لا مانع من التصريح بالمحبة والمودة والملاطفة فعلاً وقولاً بل أقول فوق ذلك لأن للرجل مع زوجه الحِلّ والبل في هذا الباب بأنه يُصرَّح بما يشعره في قلبه ويُظهره لها وكذلك المرأة بل حتى فوق ذلك كما قال الإمام العَلَمُ الشنقيطي قال: لا حشمة بين الرجل وبين زوجه.

وهذا في كلام السلف كثير دعنا ممن يتنطع ويتورع تورعاً كاذباً لا يعرف مداه والحق بأن الرجل له في زوجه ما أحله الله - جل في علاه - ولها فيه ما أحله الله - جل في علاه - : " **واستحللتم فروجهن بكلمة الله** " .

فعلى الرجل أن يكون عذب اللفظ دقيق العبارة وأيضاً أن يكون مجترئاً مع زوجه دون تنطع لأن هذا الأمر جاءت به الآثار وصحت به الأخبار وأيضاً جاء عن الصحابة الأخيار وعن التابعين الأبرار في هذا الكلام الجم الغفير..

فلا يُحجّر واسعاً مادام مع زوجه وأيضاً هي لا تُحجر واسعاً مادامت على ما أحل الله لها وهذا يُقوى أوامر المحبة ويلطف بين القلوب ويربط دقات القلب بدقات القلب وتكون المشاعر الفياضة المفعمة بالمحبة والمودة بينهما متبادلة في هذا الباب.

أيضاً قلنا: الرجل لابد أن يعرف للمرأة كرامتها لأن المرأة ماهي إلا كائن لطيف جداً قد تكاملت مشاعره ولها كرامة تحافظ عليها المرأة رفيعة القدر تحب كرامتها وتحب أن لا تُهان.

ولذلك أنت ترى حتى لو الشرع أباح الضرب قال النبي - ﷺ - : "ليس بخيركم من يضرب النساء".

لذلك قالت عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - : " ما مست يد النبي - ﷺ - امرأة قط ، فإن النبي ما ضرب إلا في سبيل الله".

ولذلك قال أنس: ما رأيتُ أحداً أحسن خُلُقاً من النبي - ﷺ - **لا والله ما قال لي لشيء فعلته لما فعلته؟ ولا لشيء تركته لما تركته؟**

الغرض المقصود: بأن مسألة الضرب وإن كانت علاجاً لكنها ليست للأبرار ولا الأخيار أنظر لما رد النبي - ﷺ - **خطبة أبو جهم من فاطمة بنت قيس لما قالت للنبي: خطبني معاوية وخطبني أبو جهم: قال " أما أبو جهم فلا يترك العصا من على عاتقيه".**

سواءً أكان سفرًا أو كان ضرباً فإنه لا يصح ذلك للأخيار أن يتجرؤوا على نساءهم بذلك.

الغرض المقصود : أن للمرأة كرامة ولا بد من المحافظة على هذه الكرامة تتهدد الجبال إن أهينت المرأة وعلى الرجل أن لا يضعها في مواضع الحرج فأنت ستري حُسن خُلق النبي - ﷺ - المرأة عندما تحيض تتحرج جداً ويحدث لها ما يحدث من اضطرابات نفسية وتفاعلات داخلية وأيضاً هي تتأذى من أن تشعر بأن زوجها يتأذى منها وهي على هذه الحالة مع أن هذه الحالة ليست بيدها فإن الله كتب ذلك على بنات آدم.

لما دخل النبي في الحج على عائشة وجدها تبكى فقال: **" أنفستى؟ قالت نعم قال: هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم".**

يعنى أنت لا تتخرجين من هذا والأمر مكتوب عليكِ بقدر الله - جل في علاه - وأنت في الحالتين لا حرج عليك.

قال: " هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم افعلى ما يفعله الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت".

وهذا كلام فيه ما فيه من الخير والمؤنسة للزوجة..

فوق ذلك أم سلمة تحكي لنا لما حاضت كيف حدث ما بينها وبين النبي - ﷺ - قالت: " كنت في الخميعة نائمة مع النبي - ﷺ - فحضت فاستحييت فانسلت من جانب النبي - ﷺ - فسرت أغير ثيابي فنظر إليها النبي - ﷺ - فقال لها: أنفستى؟ قالت نعم فقال لها النبي - ﷺ - : تعالى قالت: فأخذ بيدي وجعلني بجانبه في الخميعة".

وانظر هذه وسطية الإسلام لأن المرأة في هذا الحال لها فعل خاص عند اليهود والنصارى.

فاليهود: لا يجتمعون مع الحائض في مكان واحد ولا يأكلونها ولا يُشاربونها ولا يكلمونها فهم يهجرونها هجراً تاماً.

أما النصارى: يجامعونها حالة كونها حائضاً.

أما الإسلام: فقد جاء وسط بين الغلو وبين الجفو قال الله - جل في علاه - : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ " (222)/ البقرة.

**يعنى المرأة لا تُجامع في المحيض لكن لا يباشر؟!
يعنى لا يُقبَل لا يضم لا يتلطف معها قولاً؟!**

لا.... لما سئل النبي عن ذلك قال: " اصنعوا كل شيء سوى النكاح ".

يعنى: سوى الجماع موضع الأذى فقط.

ولذلك قالت عائشة - رضى الله عنها - كان النبي - ﷺ - يأمر إحدانا فور حيضتها أن تتزر أي: تلبس الإزار وتستتر ما بين السرة إلى الركبة ثم يباشرها حالة كونها حائضاً.

والمباشرة: يُقبَل اليد الرأس يتلطف معها يتكلم معها بالكلام الحسن.

كل ذلك حتى لا توضع المرأة في مواضع الحرج لأن إحراج المرأة أمر جلل أمر صعب شاق فلذلك قال النبي - ﷺ - : " اصنعوا كل شيء سوى النكاح ". أي الجماع.

وانظر كيف كان يفعل النبي - ﷺ - - تقريباً إلى المرأة في هذه المواطن الحرجة حتى لا تتحرج المرأة قالت عائشة - رضی الله عنها وأرضاها - : " كنت أشرب فيسألني النبي - ﷺ - وأنا أشرب فأناولها فيضع فاه موضع فاه موضع فيء ".
يعني يضع النبي - ﷺ - فمه موضع فم عائشة - رضی الله عنها وأرضاها - مكان ما شربت تقريباً وأنساً ويبين لها أنه لا يتأذى منها وكأنها على طهارة كاملة لأن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم وهذا أيضاً من المؤانسة ومن الفضل عند تقرب الزوج إلى زوجه يقول: " أين وضعت فمك فيضع فاه على موضع فم عائشة - رضی الله عنها وأرضاها ".
فوق ذلك أنها قالت: كنت أتعرق العرق : أي تأكل من ذراع الشاة جزئية بسيطة تنهت نهثة فيأتي النبي في الموضع الذي أكلت منه عائشة فيأكل من هذا الموضع فسبحان ربي العظيم!

ترى أمراً فيه ما فيه من الخير فيه ما فيه من القرب فسبحان الله هذا علو في حسن الخلق عند التعامل مع الزوجة.

وأيضاً النبي - ﷺ - يأتي لعائشة حالة كونها حائضاً فينام على حجرها فتقول متعجبة لأن الحائض لا تقرأ القرآن فتقول مندهشة متعجبة: " إن النبي - ﷺ - ينام على حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن.

فتتعجب لأن الحائض لا تقرأ القرآن على الراجح عند أهل التحقيق وعند مالك قال: إن خشيت النسيان تقرأ.

وهذا قول الأئمة الأربعة في هذا الباب والأدلة على ذلك كثيرة لست بصدد تفصيل المسألة الفقهية لكن أقول:

أنظر إلى الملاطفة وانظر إلى ما كان يفعل النبي - ﷺ - مع عائشة تقول: حالة كونها حائضاً يأتي النبي فينام على حجري ويقرأ القرآن.

والأمر الآخر : لما قالت أم سلمة أنها كانت تنام معه في الخميلة قالت: وكنت أغتسل معه من إناء واحد.

وأيضاً عائشة - رضی الله عنها وأرضاها - قالت: كنت أغتسل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - من إناء واحد فيقول ابق لي، ابق لي وهي تقول: ابق لي، ابق لي.

وهنا يستدل أهل العلم استدلالاً واضحاً جداً على أن الرجل له في امرأته كل شيء يرى فيها كل شيء وترى منه كل شيء.
أما حديث عائشة: " لا يرى مني ولا أرى منه "، هذا لا يصح بحال من الأحوال..
أو الحديث بأنه: " يُورث العمى ".
كما يستدلون الشافعية على حرمة النظر إلى مواضع الفتنة عند المرأة هذا كلام لم يصح عن النبي بحال من الأحوال

والصحيح الذي حدث كما نقل الحافظ بن حجر في هذا الحديث عن ابن عبد البر وعن غيره قول عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - :كنت أغتسل مع النبي - ﷺ - من الجنابة من إناء واحد فأقول ابقي لي ابقي لي فيقول: ابقي لي ابقي لي.

هذا أيضاً يُشعر بالأنس والملاطفة والقرب وتقوية أوامر المحبة بين الرجل وبين زوجته.

أيضاً من احترام كرامة المرأة: تقدير غير المرأة عدم التجاهل التام وأيضاً عدم الغلو في اعتبارها الوسط في كل شيء فيه ما فيه من الخير.

فهنا الوسطية للمرأة في التعامل ووسطية الرجل في التعامل مع المرأة في مسألة الغيرة.

مسألة الغيرة:

مسألة الغيرة كتبها الله على النساء وهى مسألة قتالة صراحةً كثير ممن تغار تراها تتجسس تراها تفعل أشياء كلها مخالفة للشرع.

التجسس حرام وهو كبيرة من الكبائر وتراها أيضاً تحيك بمكر وكيد لزوجها لتصل إلى ما تريد فتكشف عورات وغير ذلك وهذا لا يجوز لها أن تفعل هذا ولو غارت لابد أن تجعل للغيرة إطاراً لا تطلوه ولا تتجاوزته فتُحترم غيرتها والرجل يُقدّر هذه الغيرة ويجعلها أيضاً في إطار معين لا يجعلها تشتعل لأن المرأة إذا غارت ذهب عقلها.

الإمام مالك قال قولاً فقهياً عظيماً جداً: قال: إذا غارت المرأة قذفت وإن قذفت لا تُحد. وذلك لأنها تفعل ذلك لإرادياً يذهب عقلها كلية غارت المرأة فلما غارت المرأة وقعت في مثل هذا.

ولذلك القول الفصل في هذا الباب أنه لابد من احترام غير المرأة والتعامل مع غير المرأة بعقل وبذكاء وبروية.

والرجل له ماله من التحايل على المرأة أو من التعريض حتي يجعل المرأة تسكن وغيرتها تسكن حتى لا يكون الأمر فيه ما فيه من الوحشة بين الزوجين.

النبي - ﷺ - لما تقدم لأُم سلمة ليزوجها لأنها انقادت للسنة فكافأها الله - جل في علاه - بأن النبي تزوجها عندما قال لها النبي - ﷺ - : " قولي إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتني واخلف لي خيراً منها".
قالت: ومن خير من أبي سلمة؟!
فأخلف الله عليها خير من الدنيا بأسرها وخير من الخلق أجمعين أخلف عليها برسول الله ﷺ.

لما تقدم لها في بداية الأمر رفضت وعللت بعلة ثلاثة:

أما العلة الأولى: قالت للنبي - ﷺ - إني امرأة أغار غيرتي شديدة وقد أقول بعض الكلام الذي يزعج النبي فيغضب الله لغضب النبي فأهلك! هي لبيبة أريية.

العلة الثانية: قالت وإني امرأة كبيرة السن ومثلك يحتاج لصغيرة السن.

العلة الثالثة: قالت وإني امرأة ذات عيال.

فعللت بعلة ثلاث وأنها لا تريد الزواج بسبب هذه العلة الثلاثة وأرادها النبي لأن الله قدر أن تكون أماً للمؤمنين.

فقال لها النبي - ﷺ - : " أما الغيرة فندعو الله أن يذهبها عنك..".

ما أقرها عليها وما وافق على الغيرة لأن المرأة إن غارت ممكن أن تفعل الأفاعيل التي لا يمكن أن تُمدح بحال من الأحوال في فعلها وإن كانت تُعذر بسبب الغيرة لكن لا بد أن يكون في انضباط نفسي عند التعامل مع الغيرة.

فالنبي - ﷺ - قال: " أما الغيرة فندعو الله أن يصرفها عنك".

وسنعلم كيف كان يتعامل النبي ضبطاً للغيرة أو لإذهاب هذه الغيرة مع أزواج النبي جميعاً كما سيأتي وذلك من باب احترام كرامة المرأة وتقدير نفسيات المرأة وتقدير روح المرأة.

ثم قال لها: " وأما العيال فعلى". النبي - ﷺ - أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

ثم قال لها: " وأما كبر سنك فأنا أكبر منك".

وهذا هو خُلق النبي - ﷺ - قال لها أنه أكبر منها من الممكن أن يتلطف بشيء هو خاطب.

أما المرأة إذا كبر سنها فعلى الزوج أن يكون أذكى ما يكون وأن يبين لها أنها أصغر مما كانت عليه أيام الزواج الأول لابد أن يكون كذلك فقيهاً عندما يتعزل في موطن الجمال عند امرأته ولو كبر سنها لأنها تحتاج جداً إلى هذا الباب ولأن هذا يُكسبها الثقة في نفسها فيظهر لها أن كبر سنها لا يؤثر في جمالها وفي عقلها وفي نفسياتها وفي خُلقها هذا لابد من ذكاء الرجل أن يفعل ذلك مع امرأته سواء كانت كبر سنها أو بلغت مبلغاً تتأثر به جداً كما قلت فقه الرجل هو الذى لابد أن يسير بالسفينة بهذه الطريقة.

الغرض المقصود: أن النبي تزوجها وصارت أمّاً للمؤمنين لكنه لما قالت عن الغيرة ما أقرها لكنه ضبطها فالأمر بضوابط.

عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - كانت تغار جداً بل هي أشد نساء النبي غيرة على النبي - ﷺ - وانظر كيف لطف النبي في التعامل مع غيرة عائشة - رضى الله عنها وأرضاها.

عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - كانت تجلس مع النبي - ﷺ - وتترفع بأنها البكر الوحيدة التي تزوجها رسول الله - ﷺ.

فكان النبي يحكى عن خديجة - رضى الله عنها وأرضاها - فهي كانت للنبي - ﷺ - أمّاً وكانت أختاً وكانت بنتاً وكانت زوجة وهي التي تجردت من مالها من أجل الدعوة إلى الله - جل في علاه - وهي التي بشرت النبي بالنبوة كانت امرأة لبيبة أريية عاقلة رصينة وكانت حسبية نسبية جميلة غنية ثرية جمع الله الخير كل الخير فيها ولذلك جاء جبريل عليه السلام يبشرها فيقول للنبي ﷺ: " أقرأ خديجة من ربها السلام وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب".

وهذا استدلل به بعض العلماء على أنها أفضل من عائشة فماذا فعلت خديجة في قلب النبي لتحظى بهذه الدرجة؟! هذا ما سنعرفه الآن.

قلنا بداية أن للمرأة كرامة لابد أن تُحترم وللمرأة مكانة لابد أن تُرفع وسمو الرجل بأن يُظهر كرامة المرأة ويُظهر رُقى المرأة وسمو المرأة عنده لاسيما إذا أفاض عليها بمشاعره وكان عذب اللفظ رقيق العبارة وكان رجلاً فطناً لبيباً أريباً يظهر موطن الجمال ويتعامل مع هذا الإبداع.

وليس كل امرأة قد أوتيت جمالاً لكنها أوتيت غريزة وجبلة وهي الإبداع قال الله تعالى: " **أَوْمَن يَنْشَأُ فِي الْحَيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**". [الزخرف: ١٨].

فهي تُبدع وتكون حقًا كما قال النبي - ﷺ - : " إذا نظر إليها سرتة " .
يشتم منها أطيب الرائحة يرى منها أجمل المنظر والهيئة وأيضًا يسمع منها رقيق العبارة فهو
الذي يتحرك بحركتها هي
الغرض المقصود: من هذا أيضًا حفظ كرامة المرأة واحترام كرامتها: احترام غيرتها لكن
ضبط الغيرة بضابط معين لا غلو ولا جفو في هذا الباب.

قلنا: أن خديجة كانت لها المكانة السامية عند سيد البرية - ﷺ - وكانت هذه المكانة لما فعلت
خديجة - رضى الله عنها وأرضاها - في بادئ أمر النبي لما اشتد عليه الأمر بل عندما جاء
الوحي للنبي - ﷺ - كانت أريية فطنة لبينة هي التي قالت وعددت سمات وصفات النبي - ﷺ -
العلية قالت: لا والله لن يخزيك الله أبدًا وذكر من صفات النبي - ﷺ - أنه يغيث الملهوف وأنه
يُعين ذا الحاجة وأن النبي - ﷺ - يُكرم الضيف وأن النبي يكسب المعدوم وهذه الصفات
والسمات التي لا تكون في شخص إلا ويكون أرقى الناس منزلةً قالت: لا والله لن يخزيك الله
أبدًا وذهبت به إلى العالم وهنا نقول: لا بد من الرجوع للعالم اتزان الأمة بأسرها لا يكون إلا
بالعالم ولا بد من الرجوع إليه في المعضلات فأخذته إلى ورقة بن نوفل ابن عمها كان رجلاً قد
تنصر وفي ذلك دلالة على أن أهل مكة وصلتهم رسالة فرسالة إبراهيم وصلت، وصلت لأن
النبي لما فتح مكة وجد أن أهل مكة عندهم تصاوير فيها أن إبراهيم وإسماعيل يستقسمان
بالأزلام كذب عليها فقال النبي - ﷺ - : " كذبوا والله " ، وفي هذا دلالة على أن والدى النبي -
ﷺ - وصلتهما رسالة قال تعالى: " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا " .الإسراء/15.
ليس المقصود عين الرسول بل رسالته.

فبلغتهم رسالة إبراهيم وبلغتهم رسالة عيسى عليه السلام فقال: " كذبوا والله ولقد علموا أنه ما
استقسم قط " .

وأما ورقة بن نوفل فقد تنصر كان له مقراً في الإنجيل وتنصر فذهبت إليه وكان عالمًا وهو
وإن كان قرأ في الإنجيل لكن أصل علمه من توراة موسى عليه السلام.

فلما ذهبت خديجة بالنبي له وقصت عليه القصة قالت: اسمع لابن أخيك بعد أن بشرته هي
لتعلم مكانتها عند النبي فقص عليه النبي قصته مع جبريل حين قال له: " اقرأ فقال ما أنا
بقارئ، فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ قال: فجذبني حتى بلغ مني الجهد.. " .
وقال: " اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ " . (1) /العلق.

فقال له: هذا هو الناموس الذي أتى موسى عليه السلام وقال: ليتني فيها جذعًا حين يخرجوك
قومك قال: أو مخرجي هم؟

لتعلم أن النتائج مرهونة بالمقدمات كيف عرف ورقة بن نوفل أنه سيعادى وأنه سيخرج من البلد ماي علم الغيب لكنها مقدمات وصلت لنتائج يعلمها وهذا هو العلم في هذا الباب.

فهو يعلم قال: ما أحد أتى بمثل ما أوتيت به إلا وعُودي أصحاب الرئاسة أصحاب الوجاهة أصحاب المنازل أصحاب المال لابد من المعادة.

وهو يدعوهم إلى الله لكنهم عليهم كفرًا وكبرًا وجحودًا قال تعالى: **"وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ"**.

لذلك تبوأ خديجة مكانة سامية عند رسول الله - صلى عليه وسلم - **والخلاف بين العلماء من أفضل هل خديجة أو عائشة وأنا أعجل بالكلام حتى لا يتشوق أحد لهذا الباب:**

أقول فيها أقوال ثلاثة:

(١) خديجة أفضل.

(٢) عائشة أفضل.

(٣) هذا القول فيه النظر بعينين جميلتين خديجة أفضل في مكة حين كان النبي أحوج ما يكون إليها وعائشة أفضل في المدينة كان النبي أحوج ما يكون إليها في المدينة وانظر إلى تقادير الله - جل في علاه - يجند الله له من يعينه في أوقات معينة لظروف معينة الرجل المناسب في المكان المناسب والمرأة المناسبة في المكان المناسب.

فكان النبي وفاءً لمكانة خديجة يجلس بجانب عائشة ويقول خديجة وخديجة وهى كانت تترفع لأنها البكر يعنى عائشة الوحيدة التي تزوجها النبي بكرًا.

قالت عائشة: والله ما غرت من امرأة قط مثلما غرت من خديجة ولم أرى خديجة.

وكانت تقول له: مالك وامرأة عجوز شمطاء: وهذه ليست مسبة بل تقصد بها أن شهرها الأسود اختلط بشعر أبيض يعنى كبر سنها.

أما أنا صغيرة السن مالك وامرأة عجوز شمطاء أبدلك الله خيرًا منها فغضب النبي وما قبل فقال: **" لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها "**.

هذا تمسك به من قال بأن خديجة أفضل وليس له مستمسك في ذلك لِمَا؟!!

لأن النفي هنا ليس تقديم أفضلية لكن النفي هنا أن تكون عائشة خير من خديجة قد تكون مثلها وهذا الذى نقول به لكنه نفي أن تكون خير منها.

فعندما قالت: قد أبدلك الله خير منها قال: " لا والله ما أبدلني الله خير منها".

وهذا وفاء لها مع أنه يُدارى النساء ويتلطف معهن ولكن هنا حقوق لابد أن تُؤدى قال: " لا والله ما أبدلني الله خير منها إنها كانت وكانت وكان لي منها الولد".

قال ذلك وفاءً والوفاء من شيم أهل الإيمان ومن شيم الكرام والوفاء من حُسن الإيمان.

كانت عائشة تغار جداً من هذا وعائشة - رضى الله عنها وأرضاها - لما قام النبي ليلاً وذهب استشعرت به وهى نائمة ما استطاعت أن تصبر فتلفعت بمرطها وتلفعت بعباءتها وخرجت خلف النبي والنبي يمشى وهى تمشى حتى وصل النبي إلى البقيع وأخذ يدعو للأموات فاستدار النبي - ﷺ - فأسرعت فأسرع خلفها النبي - ﷺ - فوجدها تتلاحق أنفاسها فقال لها ما بك يا عائشة؟!

أأنتِ السواد الذى كان خلفي؟!
وهى التي قالت له: أو يعلم الله بكل ما نكن في قلوبنا؟!
هذه دلالة على العذر بالجهل لأنها جهلت أن الله يعلم ما كان وما سيكون ومالم يكن لو كان كيف سيكون ويعلم بخفايا الأمور وخفايا الضمائر فوكزها النبي وعلمها قال: " تخبريني أو سيخبرني العليم الحكيم".

فقال لها: " أظننت أن يحيف الله عليكِ ورسوله؟! ". أي لا يظلمك.

فكانت الغيرة هي التي حرَّكتها لما سمعت قول الله جل في علاه: " تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا".
[الأحزاب: ٥١].

تغيظت وقالت كلمة من أعجب ما يكون عندما أنزل الله هذه الآيات **قالت: والله ما أرى الله إلا يُسارع في هواك!!**

حتى أنها لما دخل عليها وهى تقول: وارأساه قال - ﷺ - : " بل أنا وارأساه إن أنتِ متى غسلتك وكفنتك وصاليت عليك ودعوت لك".

قالت: والله إن ميت ففي ليلتي تتزوج وهى تقول ذلك غيرة وهى تتكلم مع النبي ﷺ.

وفى الأسانيد في ذلك يكون التسامح.

كان النبي - ﷺ - من دأبه إذا سافر يقرع بين نسائه فمن خرج سهمها سافر بها النبي - ﷺ - فذات مرة سافر بها وبحفصة وهنا ما في قسم فهو يسير مع من شاء وطبعًا أحب النساء إلى النبي عائشة فكان يسير معها في الطريق يتسامر معها حفصة ما استطاعت أن تحتمل!

في كل مرة في السير يذهب إلى هودج عائشة ويسير معها ويتحدث معها حفصة ذهبت لهودج عائشة تبتغي أن يقاربها النبي كما يقارب عائشة فذهبت لعائشة وقالت لها: ما رأيك تأتي إلى هودجي وأتى إلى هودجك ترى ما أرى وأرى ما ترى وتبادل الرؤية؟!

وهي تضمر في نفسها أنها إذا ذهبت لهودج عائشة سيأتي إليها النبي - ﷺ - لأن النبي كان كريم الأخلاق فهو إن أتى الهودج ورأى حفصة بدلاً من عائشة ثبت ولا يرحلها لكنه هوأه أن يكون مع عائشة فقالت عائشة: نعم وغيّرت فلما غيرت وهم في السير جاء النبي إلى هودج عائشة يظن أن فيه عائشة يريد السمر مع عائشة فلما كلمها سمع الصوت فعلم أنها حفصة بقي معها وهذا حسن خلق النبي - ﷺ .

هو هوأه أن يكون مع عائشة لكن لا يجرح امرأة بحال من الأحوال كما قلت: هذه تُهدد الجبال.

كما أن المرأة إن عرضت نفسها على رجل فهو يتلطف ويتأدب عند الرد حتى لا يكسرها ولا يسقطها أمام نفسها يحاول أن يتلطف لكن هناك نساء عندهن جهل في هذا الباب يعني حتى لا يلحقن رجل يضطر إلى أن يصرح لها بما يضمر مع أنه يتلطف معها وهذه مشكلة كبيرة جدًا لابد أن تكون المرأة لبيبة في هذه المواقف.

المرأة جاءت للنبي - ﷺ - تهب نفسها وهبت نفسها للنبي - ﷺ - والله شرَّع لها ذلك فجاءت إلى النبي وهو في المسجد فصعد فيها النظر وخفض يريدها لا بد من القبول ممكن تكون المرأة صارخت الجمال لكن لا يقبلها الرجل ما في استلطاف قلبه لا يميل لها القبول مهم جدًا.

ولذلك النبي - ﷺ - قال لأبي موسى الأشعري لما قال تزوجت امرأة من الأنصار قال: " نظرت إليها؟ قال: لا قال: ارجع وانظر إليها فإن في عين الأنصار شيئاً حتى يؤدم بينكما "

فالنبي قال بذلك أيضاً لتكون الملاطفة والمؤانسة قبول وهنا حق الخاطب أن يرى فيها ما يدعوه إلى نكاحها..

فصعد فيها النبي النظر وخفض ينظر كل مواطن الجمال صعد فيها النظر وخفض ثم سكت أدباً تلتفلاً وأدباً ففطن رجل لذلك فقال للنبي - ﷺ - إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها يا رسول الله.

فالأصل هنا: أن النبي - ﷺ - لا يجرح امرأة قط ، فذهب النبي - ﷺ - إلى هودج عائشة فوجدها حفصة لما سمع الصوت فتسامر معها وبقي معها وعائشة تنتظر النبي ولا يأتيها ما الذي يحدث؟! كيف يتركني؟!!

فاشتد الأمر عليها حتى أنها نزلت في الزرع وقلت يُتسامح في هذه الأسانيد عند السير : نزلت في الزرع ووضعت رجلها في الحشيش والخضرة وتقول : ربي هو رسولك فماذا أقول! حيةً تلدغني أو عقرب يلدغني فأستريح! وهي لا تؤاخذ على ذلك قلنا:

المرأة إذا غارت تفعل أفاعيل لا إرادة معها الإرادة ليست موجودة وهنا يجب على الزوج أن يكون لبيباً يعذرهما في مواطن لكن عند الغلو لا يعذر بل يوقف الأمر عند حده هنا الرجولة تظهر في هذا الباب بموازنة الأمور لكن كان النبي لطيفاً كريماً ولم يُبذل الهودج مع أنه علم أنها حفصة ليست عائشة - رضي الله عنها وأرضاها.

أيضاً عائشة كما قلنا: كانت أحب نساء النبي إلى النبي وانظر احترام النبي للغيرة كيف كان يفعل النبي - ﷺ - ببُئبل خُلق ومروءة وشهامة عند التعامل.

كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يتقصدون الهدايا إلى النبي في نوبة عائشة لأنهم علموا جميعاً بأن عائشة هي أحب نساء النبي إلى النبي ، ذهب عمر بن الخطاب إلى حفصة وقال لها أو تُغضبيني النبي؟! قالت: نعم ، فقال: أغرك ما تفعل صاحبتك؟! إنها أجمل منك وأحب إلى النبي منك وأبوها أحب إلى النبي من أبيك.

يعني يقول لها: أغرك ما تفعل عائشة من كلامها مع النبي وأنتِ تفعلين مثلما نفعل! عمر هو الذي ينصح ابنته الآن ناصحاً أميناً ظاهره كباطنه عمر بن الخطاب.

ومع ذلك عائشة انتشر بين الصحابة أنها أحب نساء النبي إلى النبي - ﷺ .

فكانوا يتقصدون بالهدايا في نوبة عائشة فاليوم واللييلة التي كانت عند عائشة الهدايا تأتي إلى النبي - ﷺ - الأمر اشتد على أزواج النبي - ﷺ - فبعثن بالأمر مع فاطمة فدخلت فاطمة على النبي - ﷺ - فقال: إن أزواجك يشتكين ويسألنك العدل في بنت أبي قحافة فنظر إليها النبي - ﷺ - إليها وقال: " أنتِ تُحبين أباك؟ قالت: نعم : قال : أحبي هذه".

قالت: فما راجعته قط في عائشة بعد ذلك. وعائشة كانت بجوار النبي - ﷺ - وهي ساكنة والنبي يعطي لها قدرها ومكانتها.

فوكلنا زينب بنت جحش: وزينب كانت لها مكانة عند النبي حتى قالت عائشة: كانت هي التي تساميني عند رسول الله.

لها مكانة راقية عند رسول الله - ﷺ - فجاءت إلى النبي فقالت: يا رسول الله أزواجك أرسلنني يناشدنك العدل في بنت أبي قحافة ثم جاءت والتفتت إلى عائشة فشتمتها واشتدت عليها وعائشة توقيراً للنبي تسكت لكنها تلح نظر النبي وتتنظر إلى عين النبي هل النبي يُقر لها أن ترد وتذب عن نفسها أم لا؟

قالت: فسكت فشتمتني فنظرت إلى النبي فعلمت أنه أقر أن أذب عن نفسي..

لأن الزوجة عندما تحب زوجها يمكن أن تدخل في عقل زوجها وتعلم فيما تُفكر لذلك تُسارع في مرضاته هذا إن كانت المرأة لبيبة أما إن كانت لا تعقل فالمشكلة تتعاضم..

فهي نظرت إلى النبي فعلمت أن النبي أراها أن تنتصر لنفسها قالت: فقامت فأسكتها فأفحمتها. يعني: زينب سكنت ما استطاعت أن تتجاذب أطراف الحديث مع عائشة.

قالت عائشة: فأفحمتها فنظر النبي إلى نظر المعجب وقال لزينب: "إنها بنت الصديق إنها بنت أبيها". أبوها من أرفع الناس منزلة وهي كذلك..

فأقرها النبي على الانتصار لنفسها وأيضاً حفظ غيبتها زينب فسكت لأنه يعلم أنه الذي يحرك أزواج النبي الغيرة فسكت لكن لما تعالت الغيرة وحدث أن زينب شتمت عائشة هنا التعدي على الآخرين فالغيرة لا تسمح بالتعدي على الآخرين.

وهناك قصة أخرى ستأتي إن شاء الله في الحلقات القادمة: عندما بعثت أم سلمة بصحفة للنبي في نوبة عائشة وعائشة تعلم أن هذه الصحيفة لأم سلمة فغارت فكسرتها فماذا فعل النبي؟ هل النبي قام فضربها؟ هل النبي قام فانتهرها؟

هذا سيأتي إن شاء الله تفصيله في بيان سمو النبي ونبل الخلق عند الاعتذار للمرأة التي غارت وأيضاً كيفية التعامل معها هذا سيأتي إن شاء الله تفصيله في الحلقات القادمة.. نسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في موازين الحسنات..

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد غيرك فيها شيئاً.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

الحلقة (٥) الخامسة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ". (آل عمران / ١٠٢)

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ". (النساء / ١)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ". (الأحزاب / ٧٠-٧١).

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار:

أما بعد إخوتي الكرام: قلنا بأن النبي - ﷺ - يُؤتسى به في كل الجوانب الحياتية كما أنه أسس الدولة الإسلامية كما أنه نشر الدعوة وعبد العباد لرب العباد أيضًا بيّن لنا أن هذه الشريعة الغراء شريعة وسعت كل شيء لم تترك شاردة ولا واردة ولا شاذة ولا فاذة ولا صغيرة ولا كبيرة إلا وأتت بها وبينتها وأوضحتها وبيّن لنا النبي - ﷺ - حسن التعامل مع الزوجة وتعامل الزوجة مع زوجها وكيفية التعامل بينهما والأنس واللفظ قال الله تعالى: " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ". [النساء: ١٩].

وقال النبي - ﷺ - : " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ".

وقفنا في الحلقات السابقة عند احترام الغيرة وكيف النبي - ﷺ - يعلم بغيرة نسائه ويحترم هذه الغيرة وأيضًا يُحد منها لأن الأمر إذا تطاول وبلغ الحد ترى النبي كان يؤدب أيضًا فكان يهجر من أجل ذلك كما سترى.

ولما قالت أم سلمة: أنى امرأة أغار وأخشى أن أتكلم بالكلمة فيغضب النبي فيغضب الله لغضب النبي فأهلك.

قال النبي ﷺ: " ندعو الله أن يُذهبها عنك"، ذهاب ما يكون فيه تجاوز الحد.

وقفنا على غيرة عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - من خديجة - رضى الله عنها وأرضاها - مع أن خديجة ماتت وليست مع النبي - ﷺ - لكن هي قالت: " ما غرت من امرأة قط مثلما غرت من خديجة"، من كثرة ما كان النبي - ﷺ - يذكر خديجة بالخير.

والنبي - ﷺ - كان يذبح الشاة ويرسل منها إلى صديقات خديجة. ولما تدخل هالة أخت خديجة كان السرور يملأ النبي - ﷺ - لأن " حُسن العهد من الإيمان". وفاءً لخديجة - رضى الله عنها وأرضاها.

قالت: مالك وامرأة عجوز شمطاء أبدلك الله خير منها. وشمطاء: أي اختلط شعرها الأسود بشعر أبيض فهذه ليست مسبة.

وعائشة - رضى الله عنها - بكر تقول: أبدلك الله خير منها فقال النبي - ﷺ - : " لا والله ما أبدلني الله خير منها ولى منها كذا وكذا من الولد".

هنا تمسك بعض العلماء: بقول النبي - ﷺ - : " لا والله ما أبدلني الله خير منها".

هذا وفاء من النبي - ﷺ - وهذا تمسك به بعض العلماء الذين قالوا بأن خديجة أفضل من عائشة واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة جداً.

ومن الأدلة التي استدلوا بها على أن خديجة أفضل من عائشة أيضاً: أن جبريل جاء للنبي الأمين - ﷺ - وقال له: " أقرأ خديجة من ربها السلام وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب". أي من لؤلؤ.

شكر الله لها ما أحسنت به العمل مع رسول الله - ﷺ - من بداية الأمر وهي تبشره وانفقت مالها من أجل الدعوة إلى الله - جل في علاه - وكانت أمناً وأختاً وبنناً للنبي - ﷺ - فلنعم ما كانت خديجة لذلك شكر الله لها وأقرأها السلام من فوق سبع سماوات ينزل به جبريل على النبي الأمين ويقول: " أقرأ خديجة من ربها السلام وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب".

واستدلوا أيضاً بفضل خديجة على كل النساء بقول النبي - ﷺ - : " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من الرجال إلا أربع وذكر فاطمة وذكر خديجة وذكر آسية ومريم بنت عمران ". لكنه ختمها بالكلام على عائشة كما سيأتي.

إدّا الكمال لهؤلاء الأربع فإن كانت فاطمة سيدة نساء العالمين فأمرها أفضل منها خديجة رضى الله عنها وأرضاها.

مجمل الأدلة التي استدلو بها على أن خديجة هي أفضل نساء النبي - ﷺ - لاسيما وأنكم تعلمون أنها وقفت وقفة عظيمة مع النبي - ﷺ - من أجل الدعوة والصبر على الألواء والشدة التي كان فيها النبي - ﷺ - هو وأصحابه في مكة وكانت العداوة ضارية من صناديد قريش.

الذين قالوا بأن عائشة أفضل: قالوا بأن عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - بثت علم النبي - ﷺ -

والذهبي رضى الله عنه يقول: أعلم النساء على الإطلاق عائشة. أظهر النبي حبه لها ولم يخفيه لما جاء عمرو بن العاص وقال للنبي يا رسول الله: " من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة فقال عمرو بن العاص لست عن النساء أسأل قال: أبوها".

صدر الباب بعائشة وبين أنها أحب الناس إليه وأيضاً عندنا حديث نستأنس به قال: " اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا توأخذني فيما تملك ولا أملك". وكان - ﷺ - إذا أصابه المرض قال: " أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟".

وهو يُعرّض بأنه يريد يمكث عند عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - وهي التي قالت: مات النبي - ﷺ - بين سحري ونحري.

لأنه عندما رأى السواك قالت: ألينه لك؟ قالت: فأشار أي نعم فأخذته ولينته ثم أعطته إياه فاختلط ريقها بريق النبي - ﷺ - ومات النبي على ذلك لما سمعته يقول: اللهم الرفيق الأعلى علمت أنت يُخَيَّر.

الغرض المقصود: الأدلة كثيرة على أن عائشة هي أفضل واستدلوا على ذلك بأن جبريل أتى للنبي - ﷺ - وقال: " أقرأ عائشة السلام".

وجه الدلالة بين خديجة وعائشة في إقراء السلام:

قالوا: أن خديجة الرب هو الذى أقرأها السلام.

أما عائشة فجبريل هو الذى أقرأها السلام.

قلنا: جبريل عليه السلام لا يتحرك ولا يفعل شيء قط إلا بأمر من الله.

لما سأل النبي جبريل لما لم تأتى إلينا؟

قرأ عليه: "وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا". [مريم: ٦٤].

أيضاً الحديث المهم في هذا الباب: أن النبي - ﷺ - قال: " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع.."، ولم يذكر فيهن عائشة لكنه ماذا قال؟!

قال: " وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"، والثريد أفضل وأشهى الطعام عند العرب.
إذاً: هي أفضل النساء على الإطلاق.

نأتي للأدلة التي تمسك بها من قال بأن خديجة أفضل: قول النبي - ﷺ - : " أن جبريل أتى إليه وقال اقرأ خديجة منى السلام وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب".

قلنا: بأن عائشة أقرأها جبريل السلام ولا يتحرك جبريل إلا بأمر من ربه لأنه قال للنبي: "وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا". [مريم: ٦٤].

وأما حديث: " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع ..".

وذكر منهن خديجة ولم يذكر عائشة قلنا بأن تنمة الحديث: " وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام".

لكنهم يستدلون أيضاً بقول النبي - ﷺ - : " لا والله ما أبدلني الله خيراً منها".

قلنا: هذا الحديث لو وقفنا معه لا يدل على فضل خديجة على عائشة لأنه نفى الأفضلية نفى أفضلية عائشة على خديجة لكنه لم ينفي المساواة بينهما.

وهذا الذي يجعلنا نقول بأن: أفضل الأقوال وأعدل الأقوال في ذلك أن خديجة أفضل في مكة كان النبي أحوج ما يكون إلى أم إلى بنت إلى أخت إلى من تكون أحسن عليه مما تكون إلى من تقف معه وقفة عظيمة بمالها وثرائها وجاهها ومكانتها فكان أحوج ما يكون إلى خديجة في مكة فخديجة أفضل في مكة.

وعند المدينة عائشة أفضل في المدينة لأن في المدينة لما تأسست الدولة الإسلامية لابد ينتشر العلم لأن الأمة قوامها العلم.

وإن قلنا بأن زينة الدنيا العلماء بل الحصن الحصين للأمة العلماء ضياع الأمة بأسرها بسبب ضياع العلماء وذهاب العلماء.

فعائشة أخذت أحاديث النبي وبنثتها بين الناس كم وكمن الاختلافات وقع فيها الصحابة فذهبوا فيها إلى عائشة - رضى الله عنها وأرضاها.

اختلافات كثيرة بين الصحابة كان فصل الخطاب فيها وفض النزاع فيها عند عائشة - رضى الله عنها.

في مسألة الإكسال: رجل جامع أهله ولم ينزل هل عليه غسل أو لا؟!
ذهب أبو موسى الأشعري ع إلى عائشة فقال لها: يا أم؟ عندي سؤال أستحي منه فقالت له
سلني ما تسأل به أمك فلما سألها قالت: **على الخبير سقط.**
وتقصد نفسها لأنها أعلم النساء ولا يُقال والرياء؟ والسمعة؟

الأمر ليس كذلك ورحم الله البخاري إمام أهل الشأن حيث قال: **العالم إذا نزل محلة لا بد أن يُظهر نفسه ليتعلم الناس من علمه.**

لأن الناس بدون علماء في تيه وتخبط الآن ترى كثير ممن يتجراً على العلماء يهلكون أنفسهم قبل أن يتلفظوا ويخوضون في أعراض العلماء بألسنتهم ولا يعلمون أنهم يحجزون مكاناً في النار بذلك.

كما قال بعض السلف: حفرتان من نار حفرة العلماء وحفرة الولاة.

وقال غيره: الوقوع في الولاة إذهاب بالدنيا والوقوع في العلماء إذهاب بالآخرة.

والعالم إن أظهر علمه لا بد أن يراقب قلبه بينه وبين ربه لأنه من راء راء الله به ولأن المنافق يؤتى بنقيض قصده **لا يُمكن والعملة الزانفة لا تروج على الله والله ينظر ويكشف القلوب**
ويعطى على ما فيها جزاءً وفاقاً وأجرًا طباقاً.

" فمن راء راء الله به ومن سمع سمع الله به."

ومن عمل للناس انتقصه الناس ومن عمل لرب الناس رفعه رب الناس ودائرة الأمر ليست في الأرض وإن كانت الأسباب في الأرض دائرة الأمر من فوق العرش ومن لم يربط الأرض بالسماء لا يمكن أن يستديم بل ينقطع لأن الدنيا إلى زوال وإلى ذهاب وما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

لذلك كان يقول إمام أهل الشأن: أنه على العالم أن يُظهر نفسه لأن الناس أحوج ما يكونون إلى إتقان العلم أنتم في زمان يعلم الله به يحكم فيه الهوى بحق بل حق الهوى في زمان قد كثر فيه القراء والخطباء والنصحاء والبلغاء وقل فيه العلماء هذا هو زمان الفتن العظيم.

قال النبي - ﷺ - : " بين يدي الساعة سنون خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق وينطق فيها الرويبضة قالوا وما الرويبضة يا رسول الله قال الرجل التافه يتحدث في أمر العامة".

ولذلك قال النبي - ﷺ - كما في الصحيحين: " لا تقوم الساعة حتى يُرفع العلم ويظهر الجهل وإن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور العلماء ولن يقبض العلم بقبض العلماء حتى لا يبقى له عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهلًا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".

فمن قلت له: قال الله قال رسوله وقال لك: قال فلان وفلان؟
اعلم بأنه لا يُتقن علم بحال من الأحوال فمن لم يعض بالنواجذ على الدليل فقد أتقن الجهل.
فكانت عائشة أعلم نساء العالمين تقول: على الخير سقط.
وتحل لهم الإشكال بحديث النبي العدنان - ﷺ -.

فعائشة في المدينة أعلم نساء العالمين وهي أعلم نساء العالمين على الإطلاق .
وكان لعائشة - رضى الله عنها وأرضاها - تعليم الكثير من الصحابة والفصل في الاختلافات بين الصحابة كان في الرجوع إليها عمر كان يقول بذلك كان يقول: اذهبوا إلى عائشة.

وكان فصل الخطاب عندها - رضى الله عنها وأرضاها - لأن فضل الخلاف والخطاب بقول النبي - ﷺ - لأن المسألة دائرة على ما يُذكر في بيت النبي - ﷺ - قال تعالى: "وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا". [الأحزاب: ٣٤].

إذن: فض النزاع والقول العدل في هذا الباب: هو أن خديجة أفضل في مكة وعائشة أفضل في المدينة.

مازلنا نتحدث في مسألة الغيرة وكيف كان النبي يتعامل مع الغيرة كما قلنا بلطف وخلق ونبل لكن هذا لا يمنع أن هذا الرحيم الذي قال الله فيه: " فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ". [آل عمران: ١٥٩].

اشتد وهجر بعض أزواجه انتصاراً لبعض أزواجه لأنها ظلمت بسبب الغيرة وكان يُنكر ما يقع فيه النساء بسبب الغيرة فكما قلنا الإمام مالك أسس أساساً عجيبة جداً وهذا دليل على عمق الفقه عند الإمام مالك.

قال: المرأة إن غارت قذفت وإن قذفت لا تُحد.

والنبي لم يسكت على ذلك بل أنظر إلى ما هو أعظم في التأديب والزجر وهذا ممن؟! من الذى قال: " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".

وقال - ﷺ - : " الله الله في النساء اتقوا الله في النساء".

هو النبي الذى قال الله فيه: " بالمؤمنين رؤوف رحيم".

وقال تعالى: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ". [آل عمران: ١٥٩].

جاءت صفية للنبي - ﷺ - وقالت له يا رسول الله: أعيأ جملي وهى مسافرة معه وزينب بنت جحش كان عندها كثرة ظهر فالنبي - ﷺ - لما ألحت عليه صفية المرة تلو المرة حتى ضاق صدر النبي منها وذهبت لعائشة وقالت لها: نوبتي لك لكن رضى عنى رسول الله..

والإشكال أن كل النساء إلا من رحم ربى ينتحلن هذه الصفة والله وصف اليهود في أخذ الحق وقال: "وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ". [آل عمران: ٧٥].

فالمرأة تستخدم مع الرجل هذا الأسلوب إن أرادت شيئاً يكون الطرق على الحديد ليل نهار صباح مساء الدينار، الدينار !، وهذا يزعج الرجل جداً.

فالحاصل أن صفية - رضى الله عنها - وهى أم المؤمنين ولها مكانة عند النبي - ﷺ - ذهبت إلى النبي تبكى وطلبت منه بغيراً لأن بغيرها قد مرض والنبي وعدها أنه سيأتيها فانتهى الأمر لكنها ألحت عليه حتى أنها أغضبه لذلك ذهبت لعائشة وقالت لها: نوبتي لك لكن رضى عنى رسول الله وعائشة - رضى الله عنها قامت بالمهمة فدخل النبي فاشتد طيب عائشة فعلم أنها عائشة وقد لبست خماراً أحمرًا وعطّرتة فتعجب النبي - ﷺ - وقال: " ليست ليلتك يا عائشة - فابتسمت وقالت: " ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ". [الجمعة: ٤].

ورضته عن صفية ثم ذهب النبي إلى زينب وقال لها: " أعطى جملأ لصفية " فقالت له: لمن؟؟!! ليهوديتك هذه؟؟!!

وتذكر معي لما قلت المرأة بالغيرة لا إرادة لها لكنها قالت ذلك لمن؟؟!! قالت لصفية وقد أسلمت وهى تحت النبي وصارت أمًا للمؤمنين ولها المكانة الرفيعة عند النبي - ﷺ -!! ماسكت رسول الله عن ذلك وما أقر زينب على هذا المنكر وصفية أراها الله الرؤيا قبل

زواجها من رسول الله حيث أنها رأت قمراً سقط في حجرها فقال لها أخيها: أردتِ نبي العرب
يا ألع؟!
فضربها على وجهها فبشرها الله بذلك.
وزينب من زينب؟!
هي التي قالت: زوجكن أوليائكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات لها مكانة عالية عند الله -
جل في علاه - لكنها قالت للنبي عن صفية: ليهوديك هذه؟!!!

هنا النبي الرؤوف الرحيم كان حاسماً فلما رآها قالت ذلك مارد عليها وهجرها قرابة الثلاثة
أشهر تأديباً وزجراً فهي احترق قلبها وتفتت كبدها بعد شهرين كادت تموت - رضى الله عنها -
والنبي ما كلمها وما قسم لها تأديباً وزجراً فبعد ثلاثة أشهر مشيت فوجدت ظل رجل فتأملت في
ربها خيراً بأن يكون هذا الظل هو رسول الله - ﷺ - فلما رآته بكت - رضى الله عنها - وكانت
عندها جارية جميلة جداً كانت تخبئها من رسول الله إن أتى إليها فوهبتها له شكراً لله فابتسم لها
النبي وهش وبش لها ثم قارب أهله بأبي هو وأمي لكنه انتصر للمظلوم وما رضى بالتجاوز
ولا التعدي.

هذا وللحديث بقية اللهم اجعل هذا في موازين الحسنات اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة
واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها غيرك شيئاً.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الحلقة (١) السابعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ". (آل عمران / ١٠٢).

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ". (النساء / ١).

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ". (الأحزاب / ٧٠-٧١).

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار:

أما بعد إخواني الكرام:
قال الله تعالى: " وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ". [النساء: ١٩].

وقال النبي - ﷺ - : " الله الله في النساء اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم ".

وقد أناط النبي - ﷺ - كمال الإيمان بحسن العشرة وكمال الخلق ، وقد بينا كيف كان النبي - ﷺ - يتعامل مع غيرة النساء وهنا نُكمل المشوار وكيف كان يُهذب النبي - ﷺ - غيرة النساء إن تجاوزت الحدود ما كان النبي - ﷺ - يسكت رأيناها قد هجر زينب - رضي الله عنها وأرضاها - ثلاثة أشهر وبعد ذلك رجع لأهله.

الغرض المقصود هنا: النبي - ﷺ - كان يُهذب النفوس كما فعل ذلك مع زينب - رضي الله عنها وأرضاها - بل وفعل ذلك مع جميع نساءه..

حفصة - رضي الله عنها وأرضاها - أيضاً كان لها موقف مع صفية قالت لها حفصة: يا بنت اليهودي!

يعني قالت لها: أبوك يهودي ، هي الآن تُعَيَّر بأبيها!
دخل النبي - ﷺ - على صفية فوجدها تبكي فقال: " ما يُبكِيكِ ؟ قالت: أما رأيت ما قالت حفصة ؟ قال: وما قالت حفصة؟ قالت: قالت لي يا بنت اليهودي! فنظر لها النبي - ﷺ -".

وانظر كيف كان انتصار النبي - ﷺ - وهذا أيضاً من باب التعليم لتعلم كيف تُنزل الناس منازلهم وتعرف لأهل الفضل فضلهم وتُعطي القدر لأهل القدر فإن ذاك يكون لك عند الله - جل في علاه - رفعة وأنت تكون من المنصفين والإنصاف عزيز.

فانظر إلى النبي - ﷺ - كيف رَأَب الصدع وكيف واسى صفية وكيف أعطاها مكانتها التي تستحق..

فنظر إليها وقال لها : " أما استطعت أن تردي عليها؟ قالت: وكيف أقول يا رسول الله؟ قال: " قولي أنا بنت نبي وعمي نبي وأنا تحت نبي فمن يعلوك شرفاً؟! ".

فهل هناك نسب يُقارب هذا النسب؟!

أرأيت كيف نُصرة المظلوم؟ أرأيت كيف رفعة صاحب المكانة عندما يكون التهمك عليه؟! هكذا كونوا دائماً كانوا يفعلون ذلك..

ولذلك لما أراد البعض أن يغمز مثل البخاري قاموا جميعاً عليه بسيوفهم ورماحهم وأسنتهم..

هذا البخاري هذا إمام أهل الشأن هذا البخاري رجل خلقه الله له من أجل هذا العلم إتقاناً وحفظاً وفقهاً وتطبيقاً وعملاً وعبادةً هذا البخاري ، ولذلك الأمة بأسرها وقفت صفاً واحداً تدافع عن مثل البخاري والبخاري جبل فمهما تكلم فيه من تكلم الذي تكلم يسقط ومع ذلك هذه نُصرة المظلوم وهذه معرفة الفضل لأهل الفضل والذب عن أعراض الفضلاء والنبلاء ورفع مكانة هؤلاء هذا دين ندين الله به..

ولما سمع عمار بن ياسر رجلاً يسب عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - وكان في صف علي بن أبي طالب ، وتعلمون أن طلحة خرج والزبير وعائشة وما خرجوا للقتال أعود بالله بل خرجوا ليُطالبوا بدم عثمان - رضي الله عنه وأرضاها - أخطأوا في ذلك وهذا اجتهد وكل مجتهد له أجر وحظ ونصيب عند ربه ومكانة ما كان أهلاً للاجتهد لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ". أي: أجر واحد.

خرجوا اجتهدا ومن أصاب منهم فله أجران وهو علي بن أبي طالب ومن له أجر واحد هم طلحة والزبير وعائشة ، لكن قام رجل فتسرع فسب عائشة فقال عمار: أغرب عنا مقبوحاً

مذموماً ، والذي نفسي بيده إنها لحبيبة الرسول - ﷺ - وإنها لزوجته في الدنيا والآخرة ، لكن ابتلاكُم الله بها اجتهدت وابتلاكُم باجتهادها من تُطيعون ؟ من تُتَابِعُونَ الله ورسوله أم عائشة؟

ولذلك قلنا: كل مجتهد قد خالف النص يوضع اجتهداه خلف الظهر ولا يؤخذ به مع التبجيل والتوقير والتقدير ومعرفة الاحترام ومع ذلك يُقدَّم قول الله وقول رسوله - ﷺ ، فالنبي - ﷺ - يُنافح عن صفة

فقال: أما استطعت أن تردي عليها ؟ قولي: أنا بنت نبي - يعني موسى عليه السلام - وعمي نبي - يعني هارون - عليه السلام - وأنا تحت نبي - يعني محمد - ﷺ - فمن يعلنوني شرفاً ونسباً؟!

وأرضاه وأرضى قلبها وقال لحفصة - رضي الله عنها وأرضاها - اتقي الله يا حفصة ، اتقي الله يا حفصة.

وانظر كيف كانت الغيرة مع عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - عندما بعثت أم سلمة وقيل زينب الصحفة في نوبة عائشة فضربت بها كسرتها ، وانظر إلى رفيع خُلق النبي - ﷺ - **انظر إلى نُبل خُلق النبي - ﷺ -** يبحث عن المعاذير لعائشة وأيضاً يريد أن تكون عائشة في نفس مكانتها عند الصحابة هي الصديقة بنت الصديق أرفع نساء العالمين مكانةً عند سيد المرسلين هي وخديجة لأنها فعلت أمراً قد يفهمه الجاهلون خطأً لكن الصحابة الكرام لهم فهم راقى لأنهم تربوا على يد النبي - ﷺ - **والنبي - ﷺ - أراد أن يؤكد هذا الفهم الراقي ،** وأنت ترى من يُعطي الأذن الطويلة التي هي أطول من آذان الفيلة ليسمع قدحاً في أحد ويسد أذنه وتكون كخرق الإبرة في مدح غيره الحسد قتال فيسمع ويملاً أذنه ثم يزيد عليه هذا فعل المنافقين هذه صفة من صفات المنافقين ليست من صفات المؤمنين الخُلص ، **والنبي أراد أن يجعل مكانة عائشة كما هي ،** فلما جاء المولى بالصحفة فخرجت عائشة قبل نزول الحجاب فضربت الإناء فكسرتة غيرة تملكك من أمانة عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - **لكن لابد أن تنتظر لنُبل خُلق النبي - ﷺ -** ومن الأسى والأسف أن نجد من يُعلِّم الناس الخير يسقط في مثل هذه السقطات وهذه الزلات لأنه يتمنى أن يسمع قدحاً في أحد فيتمسك به من أجل مآرب أخرى أو من أجل جره لشيء يريده فأين النبل؟! وأين الديانة؟! أين الأخلاقيات؟! أين الشهامة؟! أين المروءة؟! أين أخلاق الجاهلية؟!

كان لهم رفعة في بعض الأخلاقيات التي تمسك بها أهل الإسلام التي جاء الإسلام بتجليتها ، جاء أبو جهل وهو أعتى من حارب النبي - ﷺ - جاء بالشبهة الستة لقتل النبي - ﷺ - فطال عليهم الوقت فقالوا لِمَ ننتظر ندخل البيت ونقتل محمداً ونخرج - ﷺ - **فأبو جهل ماذا يقول؟! كلام يُكتب بماء العين وإن كان هذا أبو جهل فرعون هذه الأمة يقول: نحن جننا لنقتل محمد ما جننا لنروع بنات محمد!!**

أخلاقيات عجيبة ، كان من العرب من يقول : والكريم يكفيه الاعتذار!

لو كان قتل لو كان دماء ، نعم يأتيه بالدية لكن شيم الكرام أن يفعلوا ذلك الكريم يكفيه الاعتذار ، أخلاقيات عرب ولذلك العرب سادوا الناس جميعاً ، العرب إن استقاموا على الديانة فازوا وقادوا الدنيا بأسرها هم خير البشرية على الإطلاق ، الغرض المقصود هذه أخلاقيات راقية جداً ونُبل خُلق النبي - ﷺ - أنه أراد أن تبقى مكانة عائشة كما هي لأنه قد يأتي من ينقلب الفهم عنده ويقول: كيف تفعل ذلك وتخرج بين الصحابة وتكسر الصفحة؟! النبي - ﷺ - ابتسم لها ونظر إلى أصحابه يعتذر لها وهذا نُبل خُلق فإنك إن وجدت أخاك على زلة أو معصية أنت تطير بها إلى الأفق؟! أم تكون ناصحاً أميناً ديناً ساتراً على أخيك وتتمنى له الرحمة ثم تكون فقيهاً ذكياً لأنك إن لم تكن كذلك صرت غيباً لأنه سيرجع عليك الأمر لامحالة وأنت لا تدري فمن عيّر أخاه بذنب لن يموت حتى يُعيّر به ، القضية عظيمة جداً لأن الذي يرقب البشر هو رب البشر جزاءً وفاقاً وأجرًا طباقاً ، فقام النبي - ﷺ - بنُبل خُلق رفيع وابتسم لعائشة ثم ابتسم للصحابة وأرد أن يرفع مكانة عائشة على مكانتها التي هي عليها فقال: " غارت أمكم غارت أمكم " .

وهذه الجملة فيها ما فيها من الأخلاقيات والفقهيات ، بدأ النبي - ﷺ - بالاعتذار قدّم الاعتذار وابتدأ بالاعتذار لعائشة - رضي الله عنها وأرضاها - ليعذر الجميع أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق بنت أبيها كما قال عنها النبي - ﷺ - فقال: غارت أمكم ، غارت أمكم ، إذا الغيرة هي التي تحكم ، واعلموا أن الإنسان له أحوال حال يكون فيه الإرادة حاضرة هذا تراه يضع الشيء في موضعه الحكمة تتجلى في أفعاله وتارة يملكه الغضب ولذلك قال النبي - ﷺ - " لا تغضب لا تغضب " .

هذه أعظم نصيحة كانت من النبي - ﷺ - لأنك ترى من يغضب يتصرف تصرفات لا إرادية ولذلك الفقهاء اتفقوا على أن طلاق الغضبان الذي غُطّي على عقله لا يقع غير مكلف أفعاله وتصرفاته لا يُعتد بها ، فالنبي - ﷺ - أراد أولاً أن يبتدأ بالعذر نعم هناك عذر هكذا المؤمن لأن المؤمن إن سمع بأخيه أنه سقط التمس له العذر بل الأعذار كل الأعذار وإن كان يريد التهذيب والتأديب هذا أمر آخر والنصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا أمر آخر هذه ديانة هذه لا بد منها لكن ما الذي عليك أولاً؟!

أه من النساء كل امرأة تتمنى شيئاً تنقلب انقلاباً عظيماً والغيبة والنميمة وكلما نمّت على أحد لأحد تقول له لا تقل لأحد هذا سر بيني وبينك وإن قالت ذلك فالكائنات الفضائية ستأتي وتبين لنا ما الذي يحدث!!!

المسألة لا يمكن أن تبقى هكذا وأيضاً لا تبقى على نفس وضعها بل ستزيد حتى تكون بحرًا وهن لا يفهمن ماق اله النبي لعائشة وهي سيدة نساء العالمين وهي أعلم نساء العالمين قال: " لقد قلت قولاً لو مُزج بماء البحر لمزجه " . أي/ لعكره.

ففعل النبلاء غير فعل السفهاء ، النبلاء لهم رفعة وإن زلوا فهم ليسوا بملائكة بل هم بشر وبشر هذه تكتب بجانبها وهذا حق تكتب : بشر يقارنون المعاصي ، نعم هناك عيوب هناك سقطات هناك معاصي هناك زلات لا بد ، لكن عين المنصف ، الراقي وإن كان عدوًا يقول: أنظر لحاله واحكم على غالب حاله لأن هذا هو ميزان رب العالمين وميزان سيد المرسلين كما قال - صلى الله عليه وسلم - " إذا بلغ الماء قلتين لا يحمل الخبث".

ولذلك ابن تيمية يقول: والصحابة لهم سيئات ولهم معاصي وزلات بل ولهم كبائر الذنوب لكنهم لهم أعظم ما يكون عملاً فغُمرت هذه السيئات في بحار الحسنات.

فلها التوقير والتعظيم والتبجيل وإياكم أن تسقط من نظركم بل هي على مكانتها الراقية السامية توقيراً وتعظيماً وتبجيلاً.

وهكذا كان علمائنا يعلموننا لأننا إن نظرنا إلى تقييم الزلّة للإنسان لا تُسقطه بحال من الأحوال نعرف قدره حقاً ومع ذلك لا نأتسي به بل ونرده بل ونكرها عليه بل ونشتد في النكير عليه ولا تُسقطه لأن هذا ظلم بين وليس من الإنصاف والحاسد يسارع في ذلك فهو أسرع وأسرع والذي يعادي الدين أسرع وأسرع لكن من كان الله معه فمن عليه؟!
فهنا: قال النبي: " غارت أمكم"، تعظيماً وتبجيلاً بالجمع: " غارت أمكم ، غارت أمكم".



بَيِّن القاعدة الأساس في الفقه: لملم الطعام وقال: "يا عائشة إئتني بإناء ، إناء بإناء وطعام بطعام".

قال الله تعالى : " وَعَاثِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ". [النساء: ١٩].
الطاعة بين الزوج والزوجة يمتد الأمر إلى السماء وكلما كان في الأرض فهو إلى زوال .

كيف كان يُعلم النبي نساءه؟!

هذا موطن من مواطن الخيرية التي تتجلى في أفعال سيد البشرية طريقة سامية تعليمًا له من رب البرية أنه يتعامل مع أزواجه بطريقة سامية وهي: تعليم النساء الطاعة التي ترتبط بها المرأة مع زوجها تعلو بها إلى المعالي ودائمًا يرتبط القلب بالقلب عندما يرتبط بالرب - جل في علاه - لأن هذا هو الدائم غير ذلك منقطع كل المودة التي لا تكون مطعمة بالود في الله أو الود من أجل الله - جل في علاه - تنقطع لابد أن يعتربها ما يعتربها فهناك ضابط يصل الأرض بالسماء وكلما وصلت الأرض بالسماء استزاد وكلما انقطعت انقطع ، ولذلك قلنا الأخوة في الله الصادقة هي في السماء ليست في الأرض ولذلك قال علماؤنا: الأخوة في الله يُعرف صدقها بأنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء علاقة ربطها الله لا العباد.

أنظر إلى ما كان بين أبي بكر وعمر كم وكما اشتد أبو بكر على عمر وعجل عليه لكن هل اهتزت العلاقة؟

جاء رجل إلى عمر أمير المؤمنين بعد الفتوحات وبعد أن انتشر الإسلام على يد عمر بن الخطاب فقال له: والله ما رأيت مثلك يا عمر بن الخطاب أو قال يا أمير المؤمنين : فأخذ عمر الضرة أو العصا وقال له تعالى : هل رأيت أبو بكر؟ قال: لا ، قال: والذي نفسي بيده لو قلت نعم لأوجعتك ضربًا.

فانظر إلى معرفة الفضل لأهل الفضل ، فهذه أخلاقيات راقية وتعاليم سامية نأخذها من النبي سيد البشرية - ﷺ - ومن الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

الغرض المقصود: أن النبي - ﷺ - كان يُعلم أزواجه وتعليم الأزواج ربط بينهما ربط بعلاقة الله - جل في علاه - تربطها بالله فتستديم ولذلك أنا قلت: عمر كان يشتد عليه أبو بكر ومع ذلك لما قال الرجل لعمر ما رأيت مثلك: قال له رأيت أبو بكر؟ لأنه يعلم أن أبو بكر هو خير الأمة بلا منازعة.

ولذلك لما عجل أبو بكر على ربيعة الأسلمي لحدة عنده : قال أبو بكر: اقتص مني فقال : لا أقتص منك ، فقال أبو بكر اقتص مني وإلا لاستعدين عليك رسول الله ، فلما يذهب إلى النبي - ﷺ - يقول لربيعة: نعم بل قل: يغفر الله لك يا أبا بكر ، يغفر الله لك يا أبا بكر.

هذه مكانة أبو بكر عند الله فجعلها في القلوب ، فالأخوة في الله إن كانت صادقة فلا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء أما الآن فالأخوة رهنها توافقتي أو تخالفني فإن توافقتني فأنت نِعَم الأخ ونِعَم ولا تنقص بالجفاء

الصديق ونعم الرفيق وأنت أعلم أهل الأرض وأنت النجم اللامع وإن تخالفني فأنت مع الشياطين لكن لن أقول للناس أنك من الشياطين أنت جنّ فيك شيء من الخير هل الديانة تتحكم في ذلك؟!

هل هذه دائرة الإسلام التي أسسها النبي - ﷺ - أما اختلف أبو بكر مع عمر؟ أما اختلف عمر مع عثمان؟ أما اختلف عثمان مع علي بن أبي طالب؟ أما اختلف ابن عباس مع علي بن أبي طالب؟ أما اختلف ابن عباس مع عمر بن الخطاب الذي كان يقربه ويُعظم مكانته بين الناس فلذلك رابط العلاقة بالطاعة لله - جل في علاه - هذه لا تنقطع صدقها يظهر هنا ، النبي - ﷺ - يأتي إلى رجل وكان النبي يحب أن يمازحه النبي احتضنه من ظهره وغماه وقال: من يشتري مني هذا العبد؟! وهذا محض صدق ليس فيه أي شيء ولا حتى تعريض لأنه عبد لله حقًا فيقول النبي: من يشتري مني هذا العبد؟ مازحة معه فقال الرجل: إذا تجدني كاسدًا يا رسول الله ، هذا الرجل أخذ وكان يشرب الخمر كثيرًا إن لم أكن واهمًا حتى قال خالد لما جُلد : لعنة الله عليك ما أكثر ما يؤتى بك في الخمر انتهي يا رجل ، فقال النبي: لا تلغنه ، مع أن النبي قال: "لُعْنُ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةٌ".

لكن هناك فرق عند علماء الأصول بين النوع والعين يعني: أنا ممكن أن أقول: هذا القول يستحق صاحبه اللعن هذا الفعل يستحق صاحبه اللعن لكن هل هو ملعون؟! لا ، لأن إسقاط الحكم عليه يحتاج إلى توافر شروط وانتفاء موانع ، فلما قال خالد: لعنة الله عليك قال النبي : لا تلغنه لا تُعن عليه الشيطان والله لا أراه إلا يحب الله ورسوله.

ولما قال لرسول الله: إذا تراني كاسدًا يا رسول الله يعني: يرى نفسه أمام الصائمين القائمين مقصرًا و متقاعصًا عن العبادة وعنده ما عنده من الذنوب: قال النبي: " لا والله غير أنك عند الله لست بكاسد".

هذا ميزان الله يا رب لك الحمد على ميزانك أما ميزان البشر آه من ميزان البشر لكن ميزان الله - جل في علاه - الله يقيس الناس بما أضمر في القلوب: " رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ". أي: ربكم أعلم بما في صدوركم.

وقال النبي - ﷺ - " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب".

تريد البيان الشافي الذي يملئك دهشةً بغى تأكل من الزنا ركبت الكبيرة على الكبيرة وتفعل ذلك كل ليلة وتأكل من المال الحرام لما رأت كلبًا بلغ منه العطش مبلغًا فتخلع بوقها فتسقي الكلب قال النبي - ﷺ - " فشكر الله لها ". أي: الكلب شكر الله لها.

أما الآن ترى العالم يُعَلِّمُ أمةً ثم ينقلبون عليه وينسى كل واحد منهم أن هذا العالم علّمه ولو حرفاً وقد قالوا: من علمني حرفاً صرت له عبداً.

وقد قال الشافعي في أعرابي: هذا علمني الشغار والشافعي حجة في اللغة تعاضم عنده الأعرابي فقال: الحر يحفظ وداد لحظة وتعليم لفظة.

فالكلب كان وفيّاً فشكر سقاية ماء: فسقاية الماء هذه نزلت على جبال الكبائر فمحتها فجعلتها كثيباً مهيباً فشكر الله لها فغفر لها.

ورجلاً أزاح شوكة عن طريق الناس فشكر الله له فغفر له.

فما كان مرتبطاً بالله - جل في علاه - يذم ويتجلى ويظهر والنبلاء يُعرفون والسفهاء حالهم يُحدّث عن أنفسهم.

فكان النبي - ﷺ - يربط بينه وبين أزواجه بالله حبلى وثيق إلى السماء طاعة لله وأعظم الطاعات هو التعليم ورفع الجهل عن الجاهل أفضل الصدقات على الإطلاق فأنت ترى من علمك كيف تكون مستقيماً قائماً صائماً ألا ترى أن الله يشكر له أنه أنشأ هذا الرجل العابد التقني النقي؟! لا أنتم تُخطئون فهمكم عن الله وعن تعامله - جل في علاه - مع خلقه الله شكور ممكن أن يشكر للعبد بفعل واحد فيرفعه مع النبي في الفردوس الأعلى هذا تعامل الله مع الخلق دعك من تعامل الخلق لن تصل إلى الرقي حتى تزهد في الناس.

عائشة كانت من أعظم الناس مكانةً عند النبي وكان يعلمها وتبث علمه بين الناس ولذلك كان الصحابة إن اختلفوا فاصل الخطاب يكون عند عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - فكان النبي - ﷺ - يربط بينه وبين أزواجه بالطاعات وكان يُعلمهن كما سيأتي تفصيلاً بإذن الله تعالى.

فهنا ترى النبي - ﷺ - كان إذا استيقظ من الليل قال: "سبحان الله ما أنزل من الليلة من الفتن ، سبحان الله ما أنزل الله من الخزائن أيقظوا صواحب الحجرات فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة".

كان يخشى عليهن يقوم من الليل فيوقظهن لأن الخلوات فيها الدعوات المستجابات فيها الصلوات فيها الاستغفار "والمُستَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ".

يقوم ينادي ربه لأنه يريد ذلك فيقوم فيقول: "سبحان الله ما أنزل اليوم من الفتن ما أنزل اليوم من الخزائن".

في خير وفي شر ثم قال: " أيقظوا صويحبات الحجرات رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة".

ولذلك كان يوقظ أهله وإن كان مسامراً لكن كان يجعلها تُصلي عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - قالت: " كان النبي يُصلي من الليل فإن أوتر أيقظني لأوتر ". فتوتر فإن كانت مستيقظة سامرها وتكلم معها وإلا اضجع النبي - ﷺ .

وكان النبي - ﷺ - يقول: " رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى فأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء".

طبعاً لا يكون الماء صَباً وإلا الطلاق سيكون في الحال هو نضح بعض الماء ، بعض الفضلاء النبلاء قال: ينضح مسكاً ، نقول: ما جاءت به السنة أولى والمرأة قد تتأذى من المسك قد لا تُحب هذه الرائحة فبالماء أطراف الماء فتستيقظ وإن قبّلها بين عينها وقال: نُصلي ركعتين فلنعم الرجل هو ولنعم المرأة هي فكان النبي - ﷺ - يقول: " رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى فأيقظ أهله فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت فأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء".

ولا أنصح المرأة تفعل ذلك فلا بد أن تنظر من الذي يستقبل الماء على وجهه مع أن السنة لا بد تكون حاكمة فنقول: أرفقي طبقي السنة بعد التعليم طبقها تطبيقاً راقياً بعد تعليمها اجلسي معه إن كان لا يفقه هذا الباب ولا يعقله أسبوعاً كاملاً حتى يستقبل ويقوم فيصلي معك كان النبي - ﷺ - يقول لعائشة: " قومي فأوترتي يا عائشة".

عائشة كانت تتعجب من حال النبي قامت ففزعت فوجدت النبي بجانبها تقول: فوقعت يدي على قدمي النبي - ﷺ - يعني كانتا منصوبتين على قدم النبي - ﷺ - يقول: " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، تقول: والله إني لفي شأن وأنت في شأن آخر".

لكن كانت تأتسي برسول الله - ﷺ - وأعظم هذه الألوان التعليم ولنعمة النفع المتعدي الصدقة من أفضل الطاعات حتى أن النبي قال لهن جميعاً "أسرعن لحوقاً بي أطولكن يداً".

فالعجيب أخذن بظاهر الحديث وهنا يُبين لك نعمة الفقهاء الذي يغوص وينظر أين مراد النبي - ﷺ - بالقرائن المحتفة لكن نساء النبي أخذن الحديث بالظاهر قال: "أسرعن لحوقاً بي أطولكن يداً".

فكن يضعن أيديهن على الحائط ينظرن من أطول منهن يداً لتعلم أنها الأسرع لحوقاً به موتاً بعده فكن يفعلن ذلك فلما ماتت زينب بعده علمن أن المراد من قوله: " أطولكن يداً". أي: أكثرن صدقة.

قال تعالى: " لا خَيْرَ في كثيرٍ من نَجَواهُمُ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا "[النساء: ١١٤].

دخل النبي - ﷺ - على عائشة ذات مرة وكانت عندها شاة وكن دائماً يقصصن على النبي ما يفعلن ليُصوب أو يخطئ وهي تعلمت أن الصدقة من أفضل الطاعات وكان النبي يُبين لها أن الصدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد الفقير وهذا فيه إثبات اليد لله دعك من التحريف والذين يُحرفون الكلم عن مواضعه ليسوا أعلم بالله من الله الذي قال عن نفسه: "اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ".

الذي قال: " قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي..؟! "

الذي قال: " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا..! "

وهذه اليد ليست كيد البشر بل يد تليق بجلاله وكماله وعظمته فلستم أعلم من الله يامن تقولون أن اليد بمعنى: القدرة والنعمة من أين أتيتم بهذا؟!

من قال بذلك؟ أبوبكر؟ لا ، عمر؟ لا ، عثمان؟ لا ، علي؟ لا ، هؤلاء لهم سنة متبعة ، ابن عباس قال بذلك؟ لا ، ابن عمر قال بذلك؟ لا ، نأتي لعلماء الصحابة : أبي قال بذلك؟ لا ، معاذ قال بذلك؟ لا ، نأتي إلى علماء التابعين ابن المسيب قال بذلك؟ لا ، ابن سيرين قال بذلك؟ لا ، الأعمش قال بذلك؟ لا ، تابعي التابعين قالوا بذلك ، لا ، فمن أين أتيتم بذلك ؟ ماذا

ستفعلون أمام النبي يوم القيامة لما يسألكم أنا قلت هذا؟ أجيبوا النبي عندما يسألكم إن شاء الله في عرصات يوم القيامة ، عندما قال النبي : " يمين الله ملأى سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض لا يغيضها نفقة" ، وهو يقول: " القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء".

ويقول: " رأيت ربي في المنام في أحسن صورة وقال لي يا محمد أتدري فيما يختصم الملاء الأعلى ؟ قال النبي: فوضع يده على صدري فوجدت برد أنامله وقال: القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء".

يدخل يهودي على النبي ويقول: " يا محمد إن الله يوم القيامة يحمل الجبال على ذا والثرى على ذا فالنبي يبتسم مقراً". فيهودي يعلم ونحن لا نعلم؟! عجب عجاب!

فأقره النبي على علم وهذا الذي قاله ابن مسعود ، يأتي المحرفون ويقولون : ضحك مغضباً! لا إله إلا الله تحريف بارد ليس فيه علم.

هنا الآن عائشة تفهم وتقول للصحابة: وسؤالي الآن أفهمكم أم فهم الصحابة؟!
الإجابة: فهم الصحابة لأن الصحابة أتقي وأتقى وأصفى وأقرب وزكاهم الله من فوق سبع سموات.

عائشة الفقيهة اللببية الأريية التي هي بالاتفاق أعلم نساء العالمين تقول أنها سمعت رسول الله يقول: " الصدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد الفقير".

والكيفية لا نعلمها لأنها غيب وهي آمنت بها : " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ". [البقرة: ٣]

فماذا كانت تفعل؟ فكانت تأخذ الصدقة وتطيبها قبل أن تعطيتها للفقير فسلم الله - جل في علاه - وللنبي - ﷺ - فيسمعك ما يسمع النبي والصحابة من فهم فإن التحريم ما قال به أحد من الصحابة ما قال ذلك أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي وهؤلاء لهم سنة متبعة ولم يقولوا بالتحريف لم يقل به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين وهؤلاء وقفت عندهم لأن النبي - ﷺ - قال فيهم : " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".

فالنبي - ﷺ - علم عائشة الصدقة فكانت تطيب الصدقة وتضعها في يد الفقير.

وعائشة - رضي الله عنها - ذبحت الشاة وكانت تعلم أن النبي - ﷺ - يحب ذراع الشاة فأبقتها ووزعت الشاة صدقات فدخل النبي - ﷺ - فقالت له يا رسول الله ذبحت الشاة وبقيت الذراع فابتسم النبي - ﷺ - وعلمها النبي - ﷺ - علماً ما أروع هذا العلم فقال النبي - ﷺ - - وصوب لها بأن الصواب أن لا تقولي ذلك وهذه اسمها نظرة الآخرة لا نظرة الدنيا لكنها نظرة بقلب مستيقظ لي أن أقول نظرة الآخرة بعين القلب لا بعين البصر لأن عين البصر الشاة غير موجودة نظر الآخرة بعين القلب يا لها من قلوب لو أنقأها الله وأصفاها ويا لها من عيون تنظر إلى لؤلؤة مجوفة إلى أنهار من خمر من لبن من ماء من عسل هذه أنهار الجنة فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - معلماً يا عائشة بل قولي: " ذهبت الذراع وبقيت الشاة"، أن المال ما أكلت ما لبست ما أنفقت لكن ما أبقيت هو ما تصدقت به.

هذا وللحديث بقية ، اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد غيرك فيها شيئاً..

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الحقة (٧) السابعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ". (آل عمران / ١٠٢)

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ". (النساء / ١).

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ". (الأحزاب / ٧٠-٧١)

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار:

أما بعد أخوتي الكرام: " وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ". [النساء: ١٩].

"وَأَخِيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ"

لكن قبل ذلك نضع الخط العريض في هذا الباب لميزان الناس قال النبي - ﷺ - " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا".

ثم جعل ميزان الكمال: " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".

اليوم يتوافر الحديث على أن من الأنس والملاطفة بين الرجل وزوجه هو التعليم: أن يرفع عنها الجهل وأن يجعل طاعةً بينه وبينها يتعاونوا فيها على البر والتقوى وأعظم ما يكون هو أن

يرفع عنها الجهل وأن يُغذيها بالعلم فتنتشر ذلك بين الناس وتبقى الحسنات إلى يوم لقاء رب الناس سبحانه - جل في علاه.

وهنا أقف: شامخاً عزيزاً جبلاً راسخاً أشم أمام الذين لا يعقلون ويهرفون بما لا يعرفون ويقدحون في تعاليم ديننا ونحن على عز به نقف ولو أن الدنيا بأسرها أمامنا نحن نعتز بديننا وتعالم ديننا وشرعنا ولا عز لنا إلا به ولا رفعة لنا إلا به ولا تمكين إلا به وقد قال النبي - ﷺ - **" تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي "**.

وقال النبي - ﷺ - لأن الناس جميعاً سيذهبون وينهلون من كل مشرب يذهبون غرباً تارة وشرقاً تارة ويتركون سبب العز والتمكين والرفعة والعلو والسمو ثم بعد ذلك ترى منهم من يتمثل بمن تمسك به فيستحي كالتي سألتني عن النقاب فقتلتني وقتلت جميع من يعلم بأن العز في الدين ذكرتني بعمر بن الخطاب عندما اشتد على أبي عبيدة..

أقول: وأنا العاصي وربي أقول وقد تجرأت على حدود ربي وإنني تجاوزت واستطلت لكني أطمع في كرمه ويعلم مني أنني لست عازماً على التعدي ولا على المعصية ولكن أقع فيها بشرية لاسيما وأن الله ما أمر بالعصمة بل أوجب التوبة ، ولذلك الصحابة الكرام أفضل وأعظم ما فيهم من سمة وخلة وصفة أنهم أسرع الناس توبة بعد معصية : **قال تعالى: " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ "** . [آل عمران: ١٣٥].

وقال الله تعالى عن آدم - عليه السلام - بعد أن عصاه وأكل من الشجرة: **" وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ يجدْ لَهُ عِزًّا "** . [طه: ١١٥].

يعني: هو لم يعزم على المعصية غلبته بشريته ولذلك تعلم أن آخر الناس دخولا الجنة رجل يقول: **" ربي أبعدني عن هذه النار غشمني ريحها.. "**.

فالله يبعده ويقول: " يا ابن آدم لعلك تسألني بعدها سؤالا " . فيقول: لا أسألك ويضع العهود والمواثيق فيبعده الله - جل في علاه - عن النار وهنا الله - جل في علاه - أراد له شيئا فتعلم عن الله وعن مراد الله نحن أجهل ما نكون عن ربنا وإن الله إن أراد شيئا هيأ له أسبابه فأظهر له شجرة نظر الرجل إلى الشجرة وهو قريبا كان في النار فأبعده الله عنها وقال: الحمد لله الذي أبعدني عنك ، لكن هو يريد أن يستظل هكذا النفس تواقة وهكذا البشرية فقال: ربي أستظل بهذه الشجرة فقال: **" عبادي أما أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسألني ؟ " . فقال: ربي لأستظل بهذه الشجرة وأعطى العهود والمواثيق أن لا يسأل فيستظل بالشجرة ويبقى ما شاء الله أن يبقى فآله - جل في علاه - يُجَلِّي له باباً إلى الجنة ، اللهم جرننا إليك جراً اللهم ردنا إليك رداً جميلاً اللهم ثبت الإيمان في قلوبنا واختم لنا بالصالحات ونعوذ بك أن نبيع ديننا ونعوذ بك أن نكون من أبخس الناس صفقة من باع دينه بدنياه أو باع دينه بدنياه غيره.**

فيقول: ربي قربني من الجنة فيقول الله - جل في علاه - " عهدي أما أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسألني؟ ما أغدرك".

وانظر ماذا يقول النبي هنا وهذا هو الشاهد الذي أريده: " يرى ما لا صبر له عليه والله يعذره".

غلبته شهوته هو بشر والله يعذره إن الله - جل في علاه - كريم رحيم مَنَّان ومع هذه المعصية فإننا لا نبيع ديننا ولا ننسلخ عن تعاليم ديننا ولا يمكن أن تهزنا الجبال ولا البحار ولا الأنهار عن هذا العز الذي نحن فيه والله لو اجتمعت الدنيا بأسرها في جانب ونحن في جانب بتعاليم ديننا العز فينا ومعنا وبنا.

دخل عمر بن الخطاب حافيًا يأخذ بخطام الناقة ويركب مولاه: أي العبد يركب مولاه على الناقة وعمر هو الذي يجر نوبة كانت بينه وبينه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مكتوب في الأولين مبشر بالجنة من العشرة المبشرين بالجنة عمر بن الخطاب الذي رأى النبي قصره في الجنة وقال: هذا لي ورأى امرأة وضاءة كالشمس بل فوق الشمس تتوضأ جميلة فقال: " هذا لي؟ " فقل لا لعبد من أمتك يُدعى عمر بن الخطاب ويأتي يُبشره ويقول: " لولا علمي بغيرتك لدخلت القصر".

فقال: عمر بن الخطاب باكياً: أو منك أغار يا رسول الله.

هذا عمر بن الخطاب جاء حافيًا فأراد أن يمر فتأبط نعله وممر حافيًا أمير المؤمنين والنصارى ينظرون وهو على مشارف الدخول لبيت المقدس فأبو عبيدة اشتد الكرب به وقال: ما هكذا أردناها يا أمير المؤمنين تأتي وأنت حافيًا وتأخذ بخطام الناقة لو رآك القوم ماذا يفعلون؟! أردناك حتى يعطونك مفاتيح بيت المقدس فقال له مُعلماً ومُأدباً ومُهدباً ، نحن جبال نناطح السحاب هذه الجبال الشاهقات تُناطح السحاب أهل الإسلام فقط هكذا نحن في عز ما دُما نتمسك بديننا وإن تتكبنا الصراط وإن عصينا وتعدينا عزنا في طاعتنا وسجودنا وذُلنا لربنا - جل في علاه - فقال له عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - قال لأبي عبيدة بن الجراح: إيه يا أبا عبيدة وهو كان يُجله جداً لقول النبي - ﷺ - " أبعث إليكم أميناً نِعَم أمين حق أمين ، أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح".

ولذلك أراد أن يستخلفه ، فقال له: إيه يا أبا عبيدة كنا أذل قومٍ فأعزنا الله بهذا الدين فلو ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

من رام العزة فبالله من رام القوة بالله من رام القوة فبالله من رام التمكين فبالله من رام أن يُخلق في السماء فبالله.

دخل الأعرابي على النبي وقال: أعطني فإن مدحي زين وذمي شين فقال: " ذاك الله ".
الممدوح بحق من مدحه الله والمذموم بحق من ذمه الله.

هكذا نقول: عزنا بديننا هذا نبينا كان له تسع من النساء يعيش بهن وهو تزوج أكثر من هؤلاء التسع ثلاث عشر امرأة ونحن نفتخر بأن هذا الأمين هو نبينا سيد المرسلين ، ويأتي هؤلاء الرعاع السفلة ويستهزؤون بكثرة النساء غاب عنهم هؤلاء الجهلة بأن ما من نبي سبق النبي إلا وكان له العدد الكبير والجم الغفير من النساء : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ". [الرعد: ٣٨].

فنعتز بنبينا لأننا إن كنا نُصدق بأنه سيد المرسلين وإن كنا نُصدق بأنه على اختيار رب العالمين واصطنعه لنفسه - سبحانه جل في علاه - فجعله هو الرسول الأمين فإن الله لا يختار له إلا الأكمل ولا يختار له إلا الأعظم واختار له ذلك لذلك كان له كثير من النساء من قاد امرأة قاد شعباً أو أمة لم؟!

المرأة متقلبة المزاج متغيرة النفس لها عواطف العقل عندها إن أعملته كثيراً ماتت دائماً العاطفة تغلب على الحكمة في هذا الباب فالرجل الذي يستطيع أن يُرود امرأة هذا رجل فائق الذكاء خبير التعامل حسن الأسلوب يستطيع أن يسيطر على من أمامه فالنبي - ﷺ - عنده كم امرأة وضرائر بينهن الحروب الشاسعة أما رأت الدنيا بأسرها ما فعلت عائشة مع حزبها مع النبي - ﷺ - ومنعته مما يحب حرب ضروس كانت لكنهن يربطن رابطة عظيمة وهي الحب الله التي ضاعت بين الوسط الملتزم الآن جميعاً ما في صارت رسماً ليس اسماً هذه كما يقولون إكسير الحياة الدافع القوي لأن يعيش المرء ويرى عزه بين إخوانه هي الأخوة في الله الصادقة لكن عداوات قد تفور تغلي من أجل جهالة وإن تصدر الجاهل لا يستطيع أن يسيطر على من خلفه بحال من الأحوال ويعلمهم التعليم الصحيح كيف كان النبي - ﷺ - يربي الصحابة الكرام لأن هذا هو الجيل الذي تمكن فأنت إن أردت صورة منه بأن تحزوا حزوه وتعلم كيف تمكنوا كيف ترابطوا كيف كان التأخي بينهم مع أنهم وقع فيهم منهم من شرب الخمر أنهاراً منهم من زنى منهم من سرق منهم من كذب منهم من جس على رسول الله - ﷺ .

هؤلاء الصحابة نعم هؤلاء هم خير الخلق ، لكن لما سمع النبي - ﷺ - الرجل يقول: يا لأنصار يا للمهاجرين قال: " أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم دعوها فإنها منتنة ".
" فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن أقول تحلق الدين ".
ولذلك قال النبي - ﷺ -

" من رأيتموه يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهنّ أبيه ولا تُكّنوا ".
ولذلك أبى لما سمع الرجل يقول آبائي ويتكلم بما يُفسد ذات البين بين المسلمين المسلمون جميعاً إخوة " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ".
72

"هم كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضاً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّة".

لكننا حسد وحقد دفين ثم جهل مركب ثم تعالي على ضعف وهذا كله لابد أن يُضيع الأسس التي عليها بناء الأمة الإسلامية.

ضرائر يحاربن بعضهم البعض وبينهن رابطة واحدة وهي الحب في الله والإيمان واجتمعن جميعاً على محبة الله ومحبة رسوله - ﷺ. خَيْرَهن النبي - ﷺ - : " يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا". [الأحزاب: ٢٨].

هكذا النبي - ﷺ - يُربي فيهن هذه الرابطة وإن كنَّ ضرائر لابد أن تعلم كيف سيرهن النبي - ﷺ - - سيراً حسناً جميلاً لترى أننا على عز في هذا الباب له التسع نعم ونفتخر بأن له ذلك وأكثر من ذلك وسليمان كان له مائة وأكثر من ذلك هذه تعاليم ديننا كيف لا نعتز بها كيف نستحي منها كيف نتواري أمام ألسن هي أطول من نهر النيل ولكنها أقل وأضعف من أن تؤثر.

ديننا دين الحق عزنا بشريعتنا عزنا بالتأسي بالنبي - ﷺ.

لمن رمى سهماً مسموماً في الإسلام وأهله في نبّيه - ﷺ - مع كثرة نساءه..

قلنا: أنظروا إلى الأمم السابقة وانظروا إلى الأنبياء السابقين كيف كان اعتناء رب العالمين بهؤلاء الأفاضل الأكارم الأماجد إن الله قد قال لنبينا - ﷺ - : " قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِن أَنُتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ". [الأحقاف: ٩].

وقال: " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ". [الرعد: ٣٨].

وسليمان - عليه السلام - كما جاء في الصحيح: كان يقول " لأطوفن اليوم بمائة امرأة".

قلنا: من الحكم العظيمة في هذا الباب وفي مجال التعدد بث حديث النبي - ﷺ - - فالناس إن لم يتعلموا علم النبي - ﷺ - كيف يتعبدوا لرب النبي - ﷺ - فإن الله ما أرسل الرسول إلا لذلك لإقامة الحجة وقد أرسلهم رحمةً للعالمين تعليمًا لهم حتى يسيروا على الطريق القويم والنهج المستقيم بحيث يصل المرء إلى جنات النعيم في أمان وسلام ورضا من ربنا الرحمن سبحانه جل في علاه..

فهنا النساء أنظر ماذا فعلنا ونحن نتكلم عن سادات الناس ونتكلم عن أرفع النساء قدرًا ومنزلةً عند رب العباد..

ومع ذلك لما كان النبي يستطيل عند زينب أو حفصة فكان يجلس وتأتيه العكة فيها العسل وكان يُحب الحلوى بأبي هو وأمي وأعرف من أحب الحلوى وعشقها من أجل أن النبي يُحبها وهذا تأسى بالفطرة والجبلة والقاعدة عند العلماء : العادات بالنيات تنقلب إلى عبادات..

فجلس مع زينب فقدمت له وكان يُطيل الوقت معها وطبعًا تعلمون أن أصل القسم الليل النهار يستطيع المرء أن يدور فيه كيف شاء فكان يُطيل ، عائشة ما احتملت فأتت بسودة من حزب عائشة وسودة أكبر منها بكثير عائشة أصغر امرأة في نساء النبي - ﷺ - عقد عليها وهي بنت ست سنين رغم أنف الجاهلين ودخل بها رغم أنف الجاهلين وهي بنت تسع سنين..

هذا الحديث في الكتب التسعة المعتمدة حديث كفانا أنه متفق عليه في البخاري ومسلم أعلى درجات الصحة ولا غرو ولا عجب البنت تسع سنين تُنجب أولادًا في الخليج تعلمون في هذه الأجواء ظاهر جدًا في هذا الباب..

الغرض المقصود: كانت أصغر النساء لكنها لها شخصية قال فيها النبي - ﷺ - "إنها ابنت أبيها"، معترًا بها فكانت تسيطر على الجميع فحفصة كانت من حزبها وأيضًا سودة وصفية فقالت لحفصة - رضي الله عنها وأرضاها - إذا دخل عليك النبي - ﷺ - فقلولي : أكلت مغاير؟! وكذلك قالت لصفية وسودة وكانت تُراقبهن وهن يعلمن لأنه إن حادت واحدة العقاب أليم من عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - هن يعلمن أنها المُدَلَّلة المقربة إلى قلب النبي - ﷺ - حتى تعلم كيف يُسيرهن النبي - ﷺ - وهذه حُكْم عظيمة فلم المنع بعد ذلك؟! لِمَ المحاربة؟! وأنا الآن تصرّيحًا لا تلميحًا أهيب بكل امرأة تتكلم بما لم تُطبقه وتقول: الشرع الجميل وهذا الشرع فوق رأسي والله لا يُشرّع إلا خيرًا ولكني امرأة لا أحتمل!!

من أنت؟! ، أزينب أنت؟! ، أعائشة أنت؟! ، سودة أنت؟! وكلهن يغرن على مثل النبي عائشة قالتها صريحة: ما لمثلي لا يغار على مثلك؟! لكن ما يتأتى على تعطيل شرع الله - جل في علاه - ولذلك الله يختبر النساء بالضغط عليهن بذلك.

الغرض المقصود: جاءت عائشة وقالت قولي له: أكلت مغاير؟! فقال: " لا ماأكلت مغاير".

قالت: فقولي له: جرس نحل العرط.

وكانت لها رائحة والنبي - ﷺ - أزكى الناس رائحة بأبي هو وأمي وأنس - رضي الله عنه - يصف لنا ذلك ويقول بأنه : ما اشتهم طيبًا ولا مسكًا أطيب من عرق النبي - ﷺ .

وكان يكره أن تفوح منه رائحة ممكن أن تكون مستكرهة لأحد لِمَ لا؟!

وهو الذي قال: " من أكل ثومًا أو بصلاً فلا يقربن مساجدنا إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم".

فقال لها: " ما أكلت مغاير".

فقالت له نفس اللفظ : جرست نحلته العرفط.

فدخل على صفية فقالت له: أكلت مغاير؟! وهي تقترب منه ويقترب منها

فقالت: " لا ما أكلت مغاير".

النبي - ﷺ - انتابه أمر قال : " لا ما أكلت مغاير".

وعائشة تشير إلى أن تقول بنفس اللفظ.

وانظر إلى كيد النساء وعلى من؟! على سيد المرسلين! لتعلم أن من سيئ الناس يسوس الأمم.

فقالت: جرست نحلته العرفط.

تضايق النبي فدخل على سودة وسودة ما تريد تقول: ما نمنع النبي - ﷺ - شيئاً يحبه وهي

تعاود عائشة وعائشة تقول لها: قولي مثلما قلت ووقفت لها على الباب تنظر والنبي يدخل على سودة - رضي الله عنها وأرضاها..

قالت: كدت أن أقول فرقاً من عائشة: أي خوفاً فزعاً من عائشة ، مع أن سودة تكبرها بأعوام لكن سمات الشخصية! : قالت: فرقاً من عائشة كدت أن أقول له قبل أن يدخل من الباب: أكلت مغاير؟! لترضى عائشة.

فلما دخل عليها قالت له ذلك فقال: " ما أكلت مغاير".

فقالت: جرست نحلته العرفط.

فدخل على عائشة وهي من هندست المسألة بأسرها فلما دخل عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت له ذلك فقال النبي: **والله لا أكل المغاير.**

لكن رب العباد المسألة تشريع ولو المرأة قالت: طلقني أنا لا أستطيع أنا سأمت أنا سأنتحر لا تُعطل شرع الله وكن لبيباً أريباً واعرف كيف تفوز بالصلاحيات بأسرها طوعاً للشرع دعك من الجهلة والناس مدحاً أو قدحاً لا يرفعونك ولا يُنزلونك إن أَرادك الله في السماء فأنت فوق السحاب وإن اجتمعوا جميعاً من في ربوع الأرض ومن مشارق الأرض ومغاربها وأرادوا إسقاطك لن تسقط وإن أراد الأخرى لو أخذوك إلى كوكب المشتري إلى السماء السابعة لن ترتقي.

لذلك أنزل الله - جل في علاه - : " يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ". [التحریم: ١].

فهنا: أمره الله تعالى أن يُكفّر عن يمينه ولا يمتنع عن الحلال.

وفي قصة أخرى أنه على مارية وكانت امرأة جميلة أهداها إلى النبي مقوقس مصر ولذلك هو يقول: " أهل مصر شرف لهم أنهم أخوال إبراهيم عليه السلام".

الغرض المقصود: بأن النبي - ﷺ - كان يجلس عندها فكان ما كان من عائشة.

أنا سردت ذلك لتعلم كيف كان النبي - ﷺ - يُسيّس النساء وهن ضرائر جميعاً وهن أفضل النساء على الإطلاق وأرفع النساء منزلةً عند رب الناس سبحانه - جل في علاه.

لذلك نعتز بديننا يقف المرء شامخاً عزيزاً ولو أتوا صفّاً بحرّاً نهراً لبيننا لهم السفه والجهل الذي قد ترأسوه لأنهم يعارضون شرع الله الذي أنزله الله من فوق سبع سماوات وهو الخلاق سبحانه - جل في علاه - يعلم ما ينفع وما يضر يعلم ما كان وما سيكون ومالم يكن لو كان كيف سيكون فالذين يقدحون تلميخاً لا تصريحاً في تشريعنا إنهم يُجهّلون الله فليرمحوا وهناك سؤال يوم القيامة فليجيبوا فإن الله سائلهم لأنهم بذلك كأنهم يقولون : إنك لا تعلم يا رب الزواج الثاني هذا باطل سيُفسد ويجعل الأولاد الكُثر والناس في فقر يعارضون ربهم بجهل لأنهم ما ربوا قلوبهم على معرفة الله - جل في علاه - وما تربت القلوب على الإيمانيات بحسن التعامل وفقه التعامل مع رب الأرض والسماء سبحانه - جل في علاه.

إذا كن شامخاً عزيزاً وأنت تأتسي برسول الله - ﷺ - وطوق لك الشرع طوقاً لا تتعداه ولا تتجاوزة.

قلنا من حُسن العشرة كان يُسيّسهن ويُسيرهن وكان يُعلمهن وهذه من حكم تعدد الزوجات أن تبث علمه بين الناس كم في المدينة من حاجة إلى علم النبي - ﷺ - ومن الصحابة من يجعل

مجالس النبي - ﷺ - معاودة فكان أحدهم ينشغل يوماً فيرسل أخاه ليتعلم العلم من النبي ثم يرجع يُعلمه إياه فكان رجل من الأنصار يذهب لمجالس النبي - ﷺ - يوماً ثم يرجع يعطي عمر بن الخطاب ما تعلمه من رسول الله - ﷺ - ثم في اليوم التالي يذهب الأنصاري ينشغل بتجارته ويذهب عمر ليتعلم من رسول الله - ﷺ - ويذهب يُعلم الأنصاري.

فانظر إلى تبادل العلم ما قطعوا مجالس النبي - ﷺ - بحال علموا أنهم إن عبدوا ربهم بجهل أفسدوا وأيما إفساد.

فدعنا من الجهل المركب ودعنا من غباء المعارضة على شرع الله - جل في علاه - فهو لاء في هوة سحيقة لا نجاة لهم بها لا يعلمون أخرجوا كلمة من ألسنتهم لا يُقدِّرون كبرها عند الله - جل في علاه - " وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدرى لها بالاً فيهوى بها في جهنم سبعين خريفاً".

فالنبي - ﷺ - كان يُعلم نساءه وهذه من الحكم لتبث العلم بين الناس وسترى كيف كان اللطف والأنس عند التعليم لأن الطاعة بين الزوج وزوجه هي أعظم ما يؤلف بين الزوج وزوجه.

فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يُعلم نساءه ومنهن أم سلمة - رضي الله عنها وأرضاها - وأنا أشرت الكلام عن عائشة لأنها كما قال الذهبي: أعلم نساء العالمين.

وسترى الصولات والجولات وعائشة - رضي الله عنها - تراجع النبي فهماً وعلماً ودراسةً ولذلك لما تنازع الصحابة - رضوان الله عليهم - تنازعاً عظيماً في المسائل كان فاصل الخطاب عند عائشة وكانت تقول: على الخبير سقط.

ولذلك الزركشي له رسالة عظيمة جداً وهي: استدراكات عائشة على صحابة رسول الله - ﷺ.

كان يُعلم أم سلمة وكانت لبيبة أريية هذه أم سلمة ولتسمع كل امرأة أنا أهيب بكل امرأة أن تسمع ما تعللت به أم سلمة عرض عليها النبي - ﷺ - الزواج فقالت: إني امرأة كبيرة السن وإني امرأة ذات عيال وإني امرأة أغار.

أخرتها أدباً وهي خشيت أن تهلك لأن الغيرة تجعلها تتكلم بالكلمة فيغضب النبي فيغضب الله لغضب النبي فتهلك أم سلمة " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب".

أه لو كانوا يعلمون لما يكون وسط علمي ينازع وسط علمي ويعاديه فقط لمخالفة الفكر أما يخشى هذا الرجل أن يعاديه ربه إن كان حقاً عالماً؟!

هذه مسائل ما تربت عليها القلوب المسألة بين الناظرين والأبدان وفقط والعقول مجففة.

الغرض المقصود: أنه قال النبي قال ربنا العلي: " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب".

فقيهة لببية أربية قالت: يغضب الله لغضب النبي فتهلك أم سلمة.

قال: " أما الغيرة فندعو الله أن يذهبها عنك".

ليست كليةً لكن لها ضابط تتضبط به.

فأم سلمة كانت لببية وكانت تتعلم أرادت أن تُعلم النساء ما جهلن في أبواب تخص النساء آه من علم النساء **حتى مالك قال: هن أعلم بهن.**

مسائل الحيض احتار فيها الأولون والآخرين للدارمي كتاب ثلاث مائة صفحة عن صنف واحد من أصناف النساء المتحيرة ثلاث مائة صفحة.

فالغرض المقصود: أنها أرادت أن تُعلم الدنيا علم النساء وكيف يكون التعامل مع المرأة الحائض لاسيما وأن الأمم قبلنا كانوا في غلو أو جفو ضلال مبين إما غلو أو جفو.

فكان اليهود لا يأكلونها ولا يُشاربونها ولا يجتمعون معها في مكان واحد يتركون البيوتات خروجاً لأنها حائضاً فيفرون منها كأن النجاسة امتلأت بالبيت فيفرون منها أعوذ بالله.

جرح المرأة هدهدت الجبال زلزلت الأرض وهي تخبئ أمرها من أجل أنها تستحي جداً في هذا الباب للإيذاء والله سماه أذى: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرِبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ". [البقرة: ٢٢٢].

أما الآخرون من النصارى يجامعونها وهي في حيضها.

غلو وجفو **أما الإسلام كالشمس المشرقة وسط عدول خيار بين هؤلاء وهؤلاء.**

النبي - ﷺ - يشرب من نفس الموضع الذي تشرب منه المرأة الحائض ينام معها على نفس الخميطة وفي نفس الفراش يأكل معها يلاطفها يتمتع بها غير الوطء يفعل كل شيء سوى النكاح.

فتعلمت ذلك أم سلمة من النبي وكانت تبث ذلك بين الناس فقالت أم سلمة: كنت في خميطة نائمة مع رسول الله - ﷺ - فحضت فاستحييت فانسالت.

وهذه فراسة المؤمن لذلك قلت: العالم الذي ليس له فراسة لا يستطيع أن يُسقط الدليل على الواقع أبداً ولا يستطيع حتى أن تستحكم عنده المسائل وإن تصدر ولا فراسة له جانب كثيراً من الصواب والله الموفق إلى الصواب.

فالنبي علم من ذلك أن أم سلمة حاضت هي قالت: حضت فاستحييت فانسلت: أي من بين يدي النبي - ﷺ.

قالت: فذهبت أغير ثيابي حتى لا يتأذى النبي فقال لها: أنفستي؟

قالت: نعم فقال لها النبي - ﷺ - " تعالى".

و أنظر إلى الرفق واللفظ والأنس وهذا تعليم علّمها أن الحائض ليست نجسة لا أنفر منها ولا تبعد عني بل أقترّب منها وكان يباشر امرأته حالة كونها حائضاً دون أن يطأ دون أن ينكح فكان كما قالت عائشة: " يجعلها تنزر ثم يتمتع بها ".

ولذلك جمهور الفقهاء قالوا: بأن التمتع بالمرأة جائز دون غلو ولا جفو وسط عدول من السرة إلى الركبة لا يجوز وإن كان بعض العلماء من الحنابلة وبعض الشافعية قالوا: يجوز التمتع بكلية المرأة دون الوطء لأن حديث النبي كما قال النووي السنة ألزم السنة أتبع قال النبي: " افعلوا كل شيء سوى النكاح ".

قالت أم سلمة: " فجمعني معه في الخميّة ".

فنشرت ذلك بين الناس أن المرأة الحائض ليست نجسة الإنسان يعاودها يلاطفها يستأنس بها يقترّب منها يباشرها لكن لا يطأ هذا من تعليم أم سلمة - رضي الله عنها وأرضاها.

أيضاً علّمت الحِيض في كيفية الاغتسال هي امرأة لها شعر طويل جداً والشعر الطويل للمرأة تاج ليس بعده تاج له تأثير عارم على من له ذوق في ذلك.

فكانت امرأة لها صفائر وكان ذلك يُتعبها في الاغتسال فقالت يا رسول الله: إني امرأة لي صفائر أفأنقض صفر شعري؟

يعني عند الاغتسال سواء أكان من الجنبات أو الحيض على خلاف بين الحنابلة والجمهور في هذا الباب لكننا بصدد المسألة المهمة هنا قالت: أفأنقض صفر شعري؟ يعني أحله؟ ومن الممكن أن يكون فيه صعوبة على المرأة في هذا الباب وهنا تُعلّم أم سلمة النساء لأن هناك من الصحابة من أمر بحله وقال بنقض الصفائر حتى قالت عائشة: أما أمرهن بحلق شعرهن؟!!

إنكاراً على عبد الله بن عمرو أو عبد الله بن عمر فقال النبي: " لا بل يكفيك أن تحثي ثلاث حثيات بالماء على رأسك ثم تفيض الماء على جسدك فأنت الآن قد طهرتني".

وتُصلّى بذلك: ويقصد: أن الماء يصل إلى أصل الشعر ويروي البشرة.

فتكون بذلك قد طهرت من الحيض أو الجنابة.

هذا ما بثته أم سلمة - رضي الله عنها وأرضاها - وأيضاً هناك كثير مما تعلمنه نساء النبي - ﷺ - من النبي كأم سلمة وصفية وميمونة وحفصة وعائشة حتى تعلم أن الحب واللفظ والمؤانسة بين القلبين يكون بمثل هذه الطاعات.

دخلت أم سلمة وقالت لرسول الله يا رسول الله قال الله تعالى: " وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ". [التوبة: ٣٤].

تخشى من العقاب قالت: عندي ذهب هل هو كنز يا رسول الله؟
فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - ما أديتي زكاته فليس بكنز".

هذا وللحديث بقية ، اللهم اجعل أعمالنا كلها سالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد غيرك فيها شيئاً.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الحقة (٨) الثامنة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ". (آل عمران / ١٠٢)

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ". (النساء / ١).

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ". (الأحزاب / ٧٠-٧١).

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار:

أما بعد إخوتي الكرام عودٌ على بدء..

قلنا: بأن النبي - ﷺ - أمر بهذا الأمر في الكتاب وأمر الصحابة الكرام وأمر الأمة بأسرها في سنته وكان التأثير الأعلى والأرقى والأسمى بلسان حال النبي - ﷺ - قال الله تعالى: " وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ". [النساء: ١٩].

وقال النبي - ﷺ - " الله الله في النساء اتقوا الله في النساء فإنهن عوانٌ عندكم ".

وقال النبي - ﷺ - " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا ".

وجعل مناط حُسن الخُلُق هو حُسن العشرة مع الأزواج قال: " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ".

مازلنا مع حُسن العشرة مازلنا مع حُسن الخُلُق الذي يتجلى ويظهر مع التعامل بين الزوج وزوجه..

وقلنا: كانت الخاتمة التي أردنا أن نختم بها هذه السلسلة هي الطاعة بين الزوجين كلما كان المعروف بين الزوج والزوجة كان الحبل بينهما موصولاً إلى السماء وكلما وصل إلى السماء لا ينقطع يستديم في الدنيا وفي الآخرة حتى بعد الموت؟!!

نعم بالثناء الحسن والعطر وأيضاً الترضي والدعاء وفي الآخرة يكون ارتقاء إلى المنازل العلى..

دائماً إن كانت الطاعة بين الزوجين كانت الحياة أسعد وكان في القلب السرور الذي يُعطي البهجة في الوجه وأيضاً حسن التعامل مع الزوجين..

فقلنا: تستقر المودة في القلب بالتعاون على البر والتقوى وهو إنشاء الطاعة بين الزوجين لاسيما وأن في بدء اختيار الزوجة كان النظر ينصب إلى الدين والسعادة في الدنيا والآخرة في اختيار المرأة الصالحة كما قال النبي - ﷺ - " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة " .

وأيضاً لما دخل سعيد بن المسيب على ابنته وهي تقرأ قول الله - جل في علاه - " وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " . [البقرة: ٢٠١] .

قالت: يا أبتى أما حسنة الآخرة فقد علمناها وهي الجنة فما حسنة الدنيا؟!!

قال: المرأة الصالحة للرجل الصالح.

ولذلك لما سُئل وكيع إلى من نُعطيها؟!!

قال: أعطيها للتقي النقي إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يُهنها.

وهذا فعل النبيل ، المرأة في اختيارها النبي - ﷺ - كما في حديث أبي هريرة في الصحيحين أن النبي - ﷺ - قال: " تُنكح المرأة لأربع وذكر لجمالها لحسبها ونسبها لمالها لدينها " .

قال: " فاذفر بذات الدين ولا تربت يداك " .

إذاً: الأصل في الاختيار هو التعاون على البر والتقوى فالله - جل في علاه - جعل بينهم المودة والألفة والرحمة فهذه أصلها وأسسها وأساسها كما قلنا هو النية الصالحة التي تتفق وترتفق إلى أن يصلوا إلى رضوان الله - جل في علاه - في مرضاة الله حتى يستقروا في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر..

ولكم الأسوة الحسنة كما قال الله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " . [الأحزاب: ٢١] .

كيف كان ينشئ عبادةً بينه وبين أزواجه وكانت الطاعة هي رأس مال الأمر بينهما أو رأس التعامل بينهما التي تتعالى بها المودة الطاعة..

هناك رواية وإن كان فيها ضعف إن كان حسنهما بعض العلماء لكن هي ضعيفة وقلنا: نستأنس بها إن لم ترتقي إلى الاحتجاج أن النبي - ﷺ - " طلق حفصة - رضي الله عنها وأرضاها فجاهه جبريل فقال له: ردها فإنها صَوَّامة قَوْمَة".

فإنشاء الطاعة بين الزوج وزوجه كما قلنا يؤلف القلوب وتستقر المودة والرحمة بين القلبين وتكون المعاملة أيسر ما تكون وأحب ما تكون وأسعد ما تكون عندما تكون الطاعة بينهما ولو

دقائق معدودة هذه الطاعة من قيام أو صدقة يشتركا معاً فيها أو الكلمة الطيبة أو الإرشاد والتعليم وهذا أصل التعاون على البر والتقوى أن يُعلمها ما جهلت أو تُعلمه وهذا نادر لكن العكس هو الأصل والأساس أن يُعلمها ما جهلت كما سنُبين كيف كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يُبين لنا أن أفضل ما يكون علاقةً بين الزوج وزوجه أن يرفع الجهل عنها وأن يُعلمها لاسيما وأن الحديث في الصحيح أن النبي - ﷺ - " بيّن أن من كانت عنده أمة فأدبها وعلمها وأحسن تأديبها وأعتقها وتزوجها له الأجر والله يعطيه الأجر مرتين".

النبي - ﷺ - قال: " سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن ماذا أنزل من الخزائن من يوقظ صواحب الحجرات رُبَّ عارية في الدنيا كاسية في الآخرة".

وكان النبي - ﷺ - " إذا دخلت عليه العشر الأواخر من رمضان أحيا ليله وأشد منزره وأيقظ أهله".

وهذا من التعاون على البر والتقوى للقيام للذكر للتسبيح للتحميد ولذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: " رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فإن أبت عليه نضح في وجهها الماء ".

تلطفاً ورقةً ليس صب الماء صباً بل رقةً ولطفاً وأنساً حتى إذا استيقظت تفتح العيون فتجد الوجه مستنيراً مستبشراً ضاحكاً يقول لها: قومي إلى ربك الآن فالوقت وقت النزول والله - جل في علاه - لا يمنع سائلاً ويغفر لمن يستغفر ويُعطي من سأل فهي تنهيا المرأة فتُصلي لربها - جل في علاه.

وقال النبي - ﷺ - " ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت فأيقظت زوجها فصلى فإن أبى عليها نضحت في وجه الماء".

كما قلنا: رقةً ولطفًا وأنسًا وهذا من التعاون على البر والتقوى وهذا عموم قول الله - جل في علاه - " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " (2) / المائدة، والتعاون على البر والتقوى أفضله وأعظمه ما يكون بين الزوجين..

النبي - ﷺ - كما وصفت عائشة : " كان إذا أوتر ووجدها مستيقظة تسامر معها وإلا اضجع".

كان في أغلب الأوقات يقول لعائشة: " قومي فأوترتي ".
إن لم تكن قد أوترت في أول الليل فيقول لها النبي - ﷺ - " قومي فأوترتي".

طاعة بينهما وهذه الطاعة جعلت الألفة أقوى وجعلت المودة والرحمة أرقى وأسمى والنبي - ﷺ - كان يعلمهن ويرفع عنهن الجهل وهذه أفضل الطاعات بين الزوج وزوجه أن يجعل بينهما وقتًا هذا الوقت يكون وقتًا لطيفًا فيه قراءة بعض الأحاديث مع شرحها المبسط أو في مسألة فقهية تحتاج إليها المرأة في الحيض والنفاس وحتى تُعلم غيرها..

وفي أيضًا مسائل تعبدية معينة أو في مسائل يُمكن أن تكون توعوية للمرأة أو دعوية فتتشر ذلك بين النساء فتغني النساء عن كثرة الأسئلة في المسائل الخاصة فتكون قد أتقنت الباب وتُعلم النساء في هذا الباب..

فالمدح كل المدح فيمن يطلب العلم فإن هذا هو أشرف العلوم على الإطلاق وما جاء في كتاب الله - جل في علاه - الثناء والمدح على العلم إلا على العلم الشرعي..

وكانت عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - تقول : " نِعَمَ النساءُ نساءَ الأنصار لم يمنعهن الحياءُ من أن يسألن أو يتعلمن في أمور دينهن".

فكان العلم هنا: عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - ارتقت عن النساء جميعًا بهذه الميزة ولذلك الإمام الذهبي يتكلم عن عائشة ويقول: عائشة أعلم نساء العالمين على الإطلاق.

لا منازعة ما في منازعة هي أعلم نساء العالمين على الإطلاق.

ولذلك ارتقت منزلة أعظم ما تكون الصديقة بنت الصديق زوج النبي - ﷺ - في الدنيا والآخرة.

لعن الله من سبها أو تكلم عنها أو طعن في عرضها عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - هي التي بثت حديث النبي - ﷺ - بين الناس بل العجب العجاب فحول الصحابة - رضوان الله عليهم - كان إذا عمَّ الخلاف بينهم فصل الخطاب كان يُرجع فيه إلى عائشة وهذا سيأتي هي بنفسها التي كانت تقول: على الخبير سقط عندي أنا الجواب ، فكانت تفصل النزاع لهم واستدركت على الصحابة كثير من المسائل كما سيأتي وهذا من تعليم النبي - ﷺ - لها والأمر لم يقف عند

عائشة بل كان ذلك عند جميع أزواج النبي قال الله تعالى: " وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا". [الأحزاب: ٣٤].

وتذكروا جميعاً أيها المشاهدون الأماجد الأماثل أننا بصدد الكلام عن حسن العشرة وأعظم ذلك وأسه وأساسه كما قلنا أن يكون الحبل الذي بينهما موصولاً إلى السماء بحسن الطاعة التي بينهما وفيها كما قلنا: أسه وأساسه أن يُعلمها بل جعل الله التعليم مهراً..

رجل فقد المال لكن لم يفقد العلم وصاحب العلم أرقى الناس منزلة فبالعلم تزوج بالعلم تزوج ولذلك النبي - ﷺ - جاءت امرأة تهب نفسها له فهذا

حقه أن ينظر إليها فصعدَ فيها النظر وخفضَ هذا حقه لكنه سكت أدبُ جم ثبُلُ راقِي ما يريد أن يجرحها فسكت صمت النبي - ﷺ - لم يتكلم ، رجل في المسجد لبيب علم أن النبي - ﷺ - لا حاجة له فيها وأراد أن لا يتقدم بين يدي النبي أدب آخر فقال يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال له: " ما معك؟ " أي: **ما معك تعطيها إياه وهذا حقها** " وَأَثَوَا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ". (4) / النساء.

فقال له: لا أملك شيئاً فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - " التمس ولو خاتماً من حديد".

قال: ما أملك إلا إزارِي فابتسم النبي - ﷺ - وقال: " إن أعطيتها إزارك فأنت لست بإزار".

يعني: كيف تتحرك وتذهب إلى المسجد وتُصلي فقال النبي - ﷺ - " ما معك من القرآن؟ " فقال له معي سورة كذا وسورة كذا.

وهذا هو العلم والإتقان والحفظ فقال النبي - ﷺ - " زوجتك إياها بما معك من القرآن".

فصار التعليم هنا منفعة يصح أن يكون مهراً وقد استدل بذلك بعض العلماء بجواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن لأنه تزوجها على أن يُعلمها سورة كذا وسورة كذا هذا مهر فصح أن يكون مهراً لذلك قلنا بأن النبي علّم أزواجه والرجل إن جعل بينه وبين زوجه كتاباً يُقرأ أو مسائل في كل ليلة يعني يطرح مسألة عليها ويجلس يتحاور معها يتجاذب أطراف الحديث بينه وبينها فيها أمور كثيرة جداً من اللطائف منها أنه يكون في قناة حوار بينه وبين زوجه كثير من البيوتات الآن لا حوار طعام شراب جماع نوم هذا الذي عندهم وبعد ذلك تكون العلاقة فيها هشاشة أيما ريح تأتي تهدم البيت..

قناة الحوار فيها شيء من تبادل الثقافات فيها شيء أيضاً من ترابط العقول وترابط العقول ينمو يرتقي تتنامى العلاقة بينهما بترابط العقول.

وأيضًا فيها أنه يكون له الفضل بتعليمها ودائمًا الإنسان الحر النبيل يكون أسيرًا لمن يُحسن إليه هكذا عادة الأخيار دعك من اللئيم..

قال العرب قديمًا: إن أكرمت الكريم ملكته وإن أكرمت اللئيم تمردا.

الحر النبيل في الخُلُق لا يمكن أن ينسى حرفًا واحدًا أنت يُمكن أن تُعطيه إياه تعليمًا.

الإمام الشافعي : وما أدراك ما الشافعي: نبلاً وخُلُقًا وسموًا في الخُلُق ورفعةً وعلماً وإتقاناً وعبادةً وزهادةً في الدنيا الإمام الشافعي : يجلس بين أصحابه وطبعًا تعلمون إن جلس بين الجلوس بين تلاميذه يعني يجلس براحته ما يتكلف فدخل عليه يومًا أعرابي فاستوى الشافعي تعجب الطلبة وسألوه هذا أعرابي فقال لهم: إن هذا الرجل الأعرابي علمني حرفًا لما مررت عليه وكلمته عن الشغار **قال: الشغار من شجر الكلب : أي رفع الكلب رجله.**

مع أن مكتبة اللغة عند الشافعي لكن لما لفت الانتباه لهذه المسألة من شجر الكلب فكأنه تعلم حرفًا فقال لهم قولاً يُكتب بماء العين بل بماء الحياة قال : الحر يحفظ وداد لحظة وتعليم لفظة.

ولذلك على الإنسان أن يتفقه كيف يتعامل مع الناس ومفهوم المخالفة مراد لأن من لم يحفظ وداد اللحظة وتعليم اللفظة ليس حرًا هذا لئيم واللئيم لا ترجو منه الخير.

قال: الحر يحفظ وداد لحظة وتعليم لفظة.

فهو كلما علّم زوجته ورفع عنها الجهل وهي تمكنت من العلم وعلّمت الأخريات ستري المنّة عليها عظيمة وتحفظ هذه المنّة ولا تُنكرها بحال من الأحوال فيكون بينهما طاعة وهذه الطاعة كما قلنا التعليم وهذا الذي بينه لنا النبي - ﷺ - في تعامله وهذا بحر آخر أنت ترى أن النبي كانت بينه طاعة بينه وبين أزواجه ومن أعظمها هو التعليم النبي - ﷺ - رفع الجهل عن الجميع وأنت ترى أن النبي - ﷺ - علّم ميمونة علّم أم سلمة حتى لا يُقال عائشة فقط علّم حفصة - رضي الله عن الجميع.

فعائشة - رضي الله عنها وأرضاها - كانت ترى النبي - ﷺ - جوادًا كريمًا والنبي كما وصفه ابن عباس: كان رسول الله - ﷺ - أجود الناس وكان أجود ما كون في رمضان **قال: فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة.**

وعلمها كيف أن الصدقة تقع في يد الرحمن تقع في يمين الرحمن قبل أن تقع في يد السائل.

ف عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - كانت من أعظم الناس جودًا و عطاءً و صدقةً حتى أنها ما كان عندها إلا ثمرة فأخذتها فأعطتها لامرأة تسأل و عندها بنتان فأخذت التمرة فشقتها نصفين للأولى وللثانية وتعجبت عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - من ذلك.

كانت عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - من جودها و من تعليم النبي لها أن الصدقة تقع في يمين الرحمن قبل أن تقع في يد الفقير فكانت عندما تريد أن تتصدق كانت تُطيب الصدقة ولما سُئلت قال: إنها تقع في يمين الرحمن.

فانظر إلى هذا الفضل وانظر كيف كانت لبيبة أريية فقيهة ترتقي المنازل العلى بتعليم النبي لها.

دخل عليها النبي وكان عندها شاة فسألها عن الشاة قالت: ذهبت الشاة لكن أبقيت لك الذراع لأن النبي كان يحب الذراع ينهث منه نهثًا يحبها فنظر إليها النبي مُعلِّمًا فقال لها: " يا عائشة بل قولي ذهبت الذراع وبقيت الشاة".

وانظر هذا تعليم لأن النظر هنا نظر إلى الآخرة ، عندنا مثل عند العامة يقولون: اعمل الخير وارميه البحر!

هو لا يُرمى البحر قط ولا يُنسى ولا يُمكن أن يفوت الله أحصى كل شيء - سبحانه جل في علاه - : " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " (18) / ق.

ولذلك لابد أن تعلم أن الله ختم كثير من الآيات بـ " إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " .
[الحشر آية: ١٨] ، " وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ " (283) / البقرة.

لم؟ لِيُطمئن قلوب المؤمنين وإرعاب للكافرين يعني كل ما تفعلون مكتوب لا يفوت والله يعلم ما كان وما سيكون ومالم يكن لو كان كيف سيكون.

أنظر إلى النبي - ﷺ - كيف يُوجه نظر عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - لبعيد تنظر إلى الآخرة لا إلى الدنيا تعمل وتنظر إلى الآخرة لما قالت له: ذهبت الشاة أي : تصدقنا بها لم تبقى عندنا: فقال لها " لا بل قولي بقيت الشاة " .

أي: ما تصدقتي به عند ربك بقي لأن النبي - ﷺ - قال عن ابن آدم: " أنه يقول مالي مالي وماله من ماله إلا ما لبس فأبلى وأكل فأفنى وتصدق فأبقى " .

أو كما قال النبي - ﷺ - فإنه لو أكل فنيَّ الطعام واستفاد منه لكن الشكر يبقى أجره عند الله - جل في علاه - وكذلك اللباس فهنا إذا تصدق أبقى المال ولقد قال النبي - ﷺ " نِعَمَ المال الصالح للرجل الصالح " .

ذهب أهل الدثور بالأجور قال: " ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ".

الغرض المقصود: أنه لفت انتباه عائشة قال: " بل بقيت الشاة".
يعني: عند ربك ستسعدين بها في الآخرة.

" وذهبت الذراع". أي: التي أكلناها.
وكانت من أعظم الناس صدقة.

قلنا: الطاعة بين الزوج وزوجه تُعمِّق المودة والرحمة وتجعل الارتقاء في القلوب والعقول والنفس البشرية أيضاً ترتقي وتكون الحياة الأسرية على أسعد ما تكون يأخذ بيدها وتأخذ بيده إلى الجنة.

قلنا: ابنة سعيد بن المسيب زواجها كان عجباً عندما ذهب سعيد وأخذها وكان ابن أمير المؤمنين يطلبها ولكن سعيد ابن المثنى أخذها لابن وداعة وكان زاهداً يحضر المجالس مع سعيد ماتت زوجته فذهب إليه سعيد ودق عليه الباب وقال له: لِمَ لم تأتي؟! فقال له: ماتت زوجتي !

فقال له سعيد: لا تجلس هكذا خلوا وهذه ابنتي وزوجه إياها.

الغرض المقصود: أنها كانت تقول له إن أراد الخروج: إلى أين تذهب؟! فيقول: أذهب إلى مجالس سعيد بن المسيب..

فتقول له: اجلس أعلمك علم سعيد، قوة أو اصر المحبة عمقها وأسسها وأساسها **كما قلنا:** الطاعة بين الزوجين وأعظمها هو رفع الجهل عن الزوج أو عن الزوجة والنبي لنا أسوة كان يُعلم أزواجه وكُنَّ يرتقين المنازل بذلك يُطبقن قول الله - جل في علاه - " وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا". [الأحزاب: ٣٤].

ما زال الأمر والمسرح في الكلام على تعليم النبي لعائشة - رضي الله عنها وأرضاها - لأنها التي بنيت حقاً علم النبي - ﷺ - في الناس وهذه كانت التي رجحت كفة عائشة - رضي الله عنها - على جميع الأزواج **وقلنا:** بأن الخلاف الوارد بين العلماء في أيها أفضل خديجة أم عائشة؟

قلنا: أن ميزان العدل أن عائشة في المدينة لأنها حفظت علم النبي - ﷺ - وبنيت هذا العلم بين الناس.

وقال الإمام الذهبي: عائشة أعلم نساء العالمين بلا منازعة.

النبي - ﷺ - كان يُعَلِّم عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - فكان يُبَيِّن لها فتتعلَّم وتُعَلِّم الناس بل وتُطبق عبادةً أولاً ثم تُعلم الناس العلم.

هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

وقد ورد مرفوعاً موضوعاً وورد موقوفاً على عليٍّ وهو صحيح : " كل الناس هلكا إلا العالمين والعالمون هلكا إلا العاملين..".

وانظر هذا لفت انتباه إلى أهمية موضع العلم : " كل الناس هلكا إلا العالمين".

حقاً لا نجاة إلا بالعلم ومن هنا أيضاً ألفت الانتباه إلا أن هذه الفتن المدلهمة التي تأتي على جميع المسلمين في جميع الأقطار والأمصار الآن لا نجاة منها إلا بالالتفاف حول العلماء طوق النجاة الحق هم العلماء الله - جل في علاه - أغلق كل باب إلا باب هؤلاء العلماء الذين هم ورثة الأنبياء: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ". (43) / النحل.

" الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتهيات لاي علمهن كثير من الناس ".

القليل فقط من هم؟ هم العلماء، لذلك قال الله - جل في علاه - : " وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ". (83) / النساء.

فهنا منزلة العلم ومنزلة العلماء وكيف رجحت كفة عائشة على باقي الأزواج وعلى خديجة حتى بسبب العلم فارتقت به وحفظت ووعيت عن النبي - ﷺ - ما علمها إياه وبثت ذلك بين الناس.

النبي - ﷺ - مازال يُعَلِّم عائشة اعتقاداً وتعبدًا ومعاملةً في كل مجالات العلم كان النبي يُعَلِّم عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - وجميع أزواجه.

فهي كانت تتعبد لله تعالى ثم تُعلم الناس : هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.
" كل الناس هلكا إلا العالمين والعالمون هلكا إلا العاملون ".

لا بد من العلم لا بد من العمل ولذلك كان الإمام الزهري يقول: يا أهل الحديث أدوا زكاة الحديث على كل أربعين حديثاً اعملوا بحديث واحد.

اللهم اجعلنا عاملين بجميع الأحاديث.

وابن عيينة يقول: من عمل بالحديث مرة صار من أهله.

قال: " والعاملون هلكا إلا المخلصين".
لأن العمل حتى يُقبل لا بد له من الإخلاص : " فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " . (110) / الكهف.

قال: " والمخلصون على خطر عظيم".

المخلصون على خطر عظيم لم؟!

لأن القلوب تتقلب القلب يتقلب ولا يثبت إلا من ثبته الله - جل في علاه - وفي الاعتقاد عائشة - رضي الله عنها - وهي أيضًا كانت لبيبة أريية فهي كانت تسأل النبي وكانت لها همة عالية راقية جدًا لتتعلم من رسول الله - ﷺ - فسألت النبي في قوله: " من نُوقِش الحساب عُدِّب".

قالت يا رسول الله وكيف يُعَدَّب ؟ ولقد قال الله: " فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا " . (8) / الانشقاق.

فقال لها النبي - ﷺ - " من نُوقِش الحساب عُدِّب".

والذي قال الله فيه: " فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا " . / (8) الانشقاق.

إنما ذلك العرض أما مناقشة الحساب عذاب.

والعرض هو الذي جاء في تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث ابن عمر في المناجاة قال: قال رسول الله - ﷺ - " إن الله يُرَخِّي كنفه على عبده فيقول: عبدي أتذكر ذنب كذا يوم كذا وذنب كذا يوم كذا فيقول: أي رب فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم أمامه فيرى النار فيظن أنه قد هلك فيفزع فيقول الله: " عبدي قد سترتها عليك في الدنيا وسأغفرها لك في الآخرة".

" من نُوقِش الحساب عُدِّب " .

فلما قالت: قال الله تعالى: " فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا " . (8) / الانشقاق.

قال: هذا العرض وليست مناقشة المناقشة يكون بعدها العقاب : " تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (9) ". [الملك].

فلهم العذاب الأليم ، كل ذلك في الاعتقاد وأيضاً لما سمعت النبي - ﷺ - وهو يقول: " تُحْشَرُونَ حُفَاءَ عُرَاءٍ غِرًّا قَالَتْ: أَيُحْشَرُونَ عُرَاءٌ؟! قال: نعم ، قالت يا رسول الله وينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال: لا الأمر أشد من ذلك يا ابنة الصديق".

وسؤالها هنا: دليل على عفتها.

فعلمت أهوال يوم القيامة كما وصفها الله بإبداع الوصف إن صح التعبير كما قال الله تعالى في سورة الحج قال - جل في علاه - " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ". (1)/الحج.

لذلك قال العلماء في كثير من الآثار : أن الشمس تدنو من الرؤوس قدر ميل فيتصبب الناس عرقاً ومن الناس من يلجمه العرق إجماعاً من شدة الهول.

ولك أن تعلم شدة الهول في حديث الصحيحين حديث الشفاعة الطويل: " بأنهم يذهبون يستشفعون بكل نبي أنت آدم أنت أبو الأنبياء ألا ترى مانحن فيه ألا تشعر بما نحن فيه؟! اشفع لنا عند ربك ويذهبون لكل نبي يستشفعون به ".

لما يرون من الشدة والألواء وعظيم المشقة في عرصات يوم القيامة اللهم نجنا يا رب العالمين.

وكان النبي - ﷺ - أيضاً يعلمها بصفات الله لأنها لما النبي خرج ليلاً ذهب كان قد أمر ليدعو لأهل البقيع خرج فلبست عليها جلبابها الأسود ، حتى لا يقال هل هذا من الدين؟!

نعم هذا من الدين قال الله - جل في علاه - " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ". (59) الأحزاب/

من الذي يقول بأن النقاب ليس من الدين؟!

هذا رجل أصالة جهله مركب في هذا الباب هذه الآية فاصلة وفعل عائشة وأيضاً نساء الأنصار حتى لا يقال عائشة فقط وهي أم المؤمنين وزوج سيد المرسلين!

هذا جهل آخر لأن ما يكون تشريعاً للنبي ولأزواج النبي هو تشريعاً لكل الأمة **ما في تخصيص إن كان التخصيص فلا بد من دليل يبين التخصيص** : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا " . (50) / الأحزاب.

قال: " خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ " .

فأي تشريع على النبي وعلى أزواج النبي فهو على جميع الأمة قال: " أنتِ السواد الذي كان خلفي؟! " .

قالت عائشة لما نزلت هذه الآية: " يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ " . (59) / الأحزاب.

وكن يُصلين أخذت كل امرأة مرطها وتلفعت به قالت عائشة: " فكن يخرجن يُصلين الفجر لا يُعرفن من غلس كالغرايب السود " .

وليس لازماً البني الكحلي أنا أقصد أن مسألة النقاب لا فصال فيها لا كلام فيها إلا من الجهلة الذين لم يطلعوا على دين الله - جل في علاه - وحرام أن يتقدم أحد بين يدي الله ورسوله وأن يتكلم في الشرع وهو يجهله ينتظره عقاب أليم كالذي يُفتي بغير علم يتقحم النار على بصيرة.

فقال: " أنتِ السواد الذي كان خلفي؟! فأراد النبي أن يعلم لم فعلت ذلك فقالت: أوكل ما نخفي في صدورنا يعلمه الله؟! " .

وهذه صفة من الصفات قد نقول قد غاب عن عائشة أن تعلم هذه الصفة ما في أحد يأتينا بتكلف في هذا الباب لأن هذا فيه أصالة من الأدلة التي يؤخذ بها على العذر بالجهل حتى لو جهل صفة من صفات الله وهذا باب علم مهم جداً في باب المعاشرة بالمعروف ، الرجل الذي جاء لأبنائه من بني إسرائيل قال: " كيف كنت أنا لكم؟ فقالوا: نِعَمَ الأب قال: فإن أنا مت فاسحقوني وذروني اجعلوا نصفي في البر ونصفي في البحر فلئن قدر الله عليّ ليعذبني فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه فوقف العبد بين يدي الجبار فقال: ما حملك على هذا؟ فقال الرجل: خشيتك يا رب فقال أدخل الجنة برحمتي " .

فهو جهل صفة القدرة أنه سيعيده كما قال الكفرة الفجرة: قال تعالى: " زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ " . (7) / التغابن.

قال : " يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ". [سورة الأنبياء:104].

فأعاده فقال: " خشيتك يا رب قال: أدخل الجنة برحمتي".

فهو جهل صفة وهذا العذر بالجهل موجود أيضاً هنا في هذا الباب حتى لا يكون الأمر فيه من الضلال الفكري كما عند الخوارج.

فالعذر بالجهل وإن كانت المسألة خلافية لكن المحققون من جماهير أهل العلم على العذر بالجهل حتى لو كان في مسألة الاعتقاد ، فهنا في صفة من الصفات عائشة تقول له: أو كل مأكل في نفوسنا أو كل ما نخفي في صدورنا يعلمه الله؟

علّمها النبي لينتشر العلم وهي نشرت ذلك بين الناس في هذا الباب فبيّن لها النبي - ﷺ - أن الله يعلم السر وأخفى.

يعلم ما كان وما سيكون ومالم يكن لو كان سوف سيكون الله يعلم كل شيء سبحانه - جل في علاه - فعلمها ذلك علمها صفة من صفات الله - جل في علاه وهنا فائدة ومنة عائشة على الأمة بأسرها في هذه المسألة العظيمة هو أننا نستخلص من هذا الحديث أصول العذر بالجهل حتى لو في مسائل الاعتقاد؟

حتى لو في مسائل الاعتقاد نعذره ومسألة الجهل بصفات الله - جل في علاه - مسألة عظيمة ليست بالهينة في هذا الباب وبعضهم يقول: يكفر من يجهل صفات الله أول واجب على الناس - توحيد الله - جل في علاه - وتوحيد هنا علمي خبري وتوحيد عملي وهو توحيد الإلهية تعبد توحيد الله بأفعال العباد.

والتوحيد الأول: هو توحيد الاعتقاد التوحيد العلمي الخبري وهذا توحيد بأفعال الله - جل في علاه.

فعلمها النبي - ﷺ - وأيضاً من ذلك عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - ولذلك تعلمت من النبي ولذلك استدركت على الصحابة يعني تعلم أن مسروق وهو يُكنى بأبو عائشة دخل عليها أبو عائشة مسروق وكان من المحارم أي في رضاع فدائماً كانت تُجيب من خلف الحجاب فسألها وقال: أما رأيته أن الناس يتحدثون بأن محمد رأى ربه فقالت: " لقد قف شعري مما قلت ! كيف والله يقول: " لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ". (103) / الأنعام.

وإن كان الاستدلال هنا أعم من المسألة لكن حديث النبي - ﷺ - ظاهر : قال وهو معنا في الخطاب أصولياً في خلاف والصحيح أنه ينزل تحت الخطاب المخاطب ينزل تحت عموم الخطاب قال: " إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا".

ما أحد يستطيع أن يرى الله في الدنيا حتى موسى لما شَفَّ الأذان لسماع صوت الرحمن أراد رؤيته فقال: " وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَاني وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَاني ۚ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ " (143) / الأعراف.

الغرض المقصود: هذا من تعليم النبي لعائشة - رضي الله عنها وأرضاها - وهي تُعَلِّم جميع المؤمنين كما علمها رسول الله - ﷺ - وهذا يقوي أواصر المحبة بين الزوج وزوجه.

أيضاً في مسائل الفقه حَدَّثَ ولا حرج حَدَّثَ كثيراً في هذا الباب على ما علمها النبي - ﷺ - وكان أيضاً وأُجِّلَ بهذه كان فاصل الخطاب عندها عندما اختلفت الصحابة في الذي يُجامع ولم يُنزل جامع وأُكسِلَ فماذا عليه؟

كان في أول الإسلام من جامع ولم يُنزل أن يغسل ما أصابه منها في الموضع ثم يتوضأ ويُصلى وهذا قد تبناه عثمان وأبي لكن هذا منسوخ لكن غاب عن عثمان الناسخ وغاب عن أبي وعن بعض الصحابة فاختلفوا فقال عمر بن الخطاب ابعثوا إلى عائشة ولا تعاودوني بعد ذلك يعني عائشة تفصل في الخطاب فذهب أبو موسى الأشعري فقال لعائشة - رضي الله عنها وأرضاها - وانظر هنا كيف الثمرة عندما تعلمت من النبي وعلمت الصحابة قال: يا أم أريد سؤالاً أستحي أن أسأله قالت: سلني ما تسأل به أمك فقال لها: إذا جامع الرجل فأكسل ولم يُنزل هل عليه غسل؟

فأجبت عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - وانظر إلى الكلام وانظر إلى عظيم رفعة المكانة للعالم قالت: " على الخبير سقط...".

وليس هناك رياء ولا سمعة عائشة أرادت أن يعلم أبو موسى كيف وزن عائشة في العلم - رضي الله عنها وأرضاها - وأن فاصل الخطاب عندها لا تذهب لغيري أنا أعلم ، كما قال البخاري: أتعلمون من أنا؟ أنا البخاري أنا محمد بن إسماعيل أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث ضعيف.

هذا البخاري ، البخاري كله إمام أهل الشأن.

فعائشة أرادت أن تُبَيِّن مكانتها ليأخذوا منها العلم ، وحتى البخاري قال: من كان عالماً فليُظهر نفسه في المكان الذي هو فيه.

ليتعلم الناس قدر هذا العلم وقدر هذا العالم يلتفتون حوله أنت ترى الفتن تأتي تترأ الآن تعصف وتصتك بجميع الناس يعني هذه الفتن والله يعلم الله أنها قطعت الأمة وشرذمتها بسبب فقدان الأمة للعالم والناس الآن كل إنسان عالم نفسه الآن يدخل على النت ويحسب أنه أخذ الفتوى من الكمبيوتر هكذا وصار عالماً خلف النت علماء الكمبيوتر لم يسهروا ليلاً لم يجثوا واحد منهم

على الركب طلباً للعلم لم يتضوع جوعاً من أجل أن يحفظ حديثاً أو يُتقن مسألة فقهية أو يتعلم أصلاً من الأصول أو قاعدة من القواعد ثم على الكيورد كما قلت يقول: قال فلان وفلان يعني هو يضرب يسأل السؤال وتأتيه بعض الإجابات مقاطع من علمائنا النبلاء سواء من المتأخرين أو المتقدمين وهو يحمل لا يعقل ويبث ويُجهل بعد ذلك من خالفه هذه مشكلة كبيرة نعيش فيها كل هذه الفتن بسبب غياب شمس العلماء وعلى الأمة بأسرها أن تصنع العلماء وأن تعتني بالعلماء لأن نجاتها وطوق النجاة بالعلماء.

" يأتي على الناس زمان يتزهدون في العلم ويزهدون فيه وتنتشر البدعة والسنة تتواري."

فهذه الأزمنة أزمنة العقاب الأليم أزمنة العقوبات السماء تمطر حجارة حتى علو الأمة يتراجع وهذا الذي حدث الخلافة الأموية الخلافة العباسية حتى الدولة العثمانية كل هذه التي كانت لها مالها من القمم ارتقاءً راقياً كل ذلك سقط بسبب البدعة والجهل تواري العلماء انتشرت البدعة ظهر أهل الجهل وتصدروا للناس ماتت الأمة نحن الآن في ذيل الأمم فعلينا على عود والفتن الآن في الأمصار فتن

الآن ودماء تسيل ولو رجعوا لعالم نبيل صدره الله ليكون عالماً نبياً له ماله من العلاقة بينه وبين ربه تقوى وورع وعلم ولا ننفي عنه المعصية ولا الزلل فإن الأمة ستفوز والأمة تتجاوز هذه الطامات لكن سبحان ربي العظيم لله حكم وشئون في عبادته ولازلنا نلفت الانتباه براءة للساحة.

عائشة قالت: " اختلفتم؟ على الخير سقط.. "

فاصل الخطاب عندي قالت: " قال النبي.. "

وانظر تعليم النبي أفاد الأمة بأسرها وهذا فيه تقوية لأواصر المحبة قوة العلاقة تكون بذلك.

قالت عائشة: " على الخير سقط قال رسول الله - ﷺ -: إذا التقى الختانان وجب الغسل."

إذاً: أنزل أو لم يُنزل وجب عليه أن يغتسل كثير من الناس إلى وقت قريب يسألونني أنه جامع فتوضأ فقط لم يغتسل ما يعرفون الاغتسال تعجبت حتى كدت أدوب من هذا وهذا أمر ينتشر والناس يجهلونه!

وعائشة قالت: " على الخير سقط إذا التقى الختانان وجب الغسل."

وكذلك أبو هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - " إذا جلس بين شعبها الأربع فجهدها فقد وجب الغسل."

هذا من تعليم النبي لعائشة - رضي الله عنها وأرضاها - ولذلك العلاقة بين عائشة وبين النبي كانت حدث ولا حرج كيف كان السرور والسعادة عند النبي عندما يلقي عائشة وكان يسارع في مرضات عائشة وكان يسارع فيما يدخل السرور على عائشة لما لعبت الحبشة الحربة في العيد في المسجد كان يقول لها يتودد إليها يتحبب إليها يقول: **تحبين أن تنظري؟** فتقول: نعم وهي ليس لها بغية في الرؤية تريد أن يرى النساء مكانتها عند النبي - ﷺ - فكان أيضاً يعلمها بأبي هو وأمي فهذا التعليم كان يقوي الروابط والأواصر المحبة التي كانت بينهما.

عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - وانظر إلى الأنس واللفظ حتى مع التعليم عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - كان النبي ينام على حجرها يضع رأسه على حجرها وهنا عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - تتعلم حتى من نوم النبي - ﷺ - وكانت توقره وانظر أيضاً إلى عذوبة الفعل.

لما دخل أبو بكر وجد النبي - صلى الله عليه وسلم - نائماً على حجرها وكانت عائشة انفرط عقدها فاشتكت للنبي فجلس النبي وجلس معه الصحابة وأرادت العقد وكانت قد استعارت هذا العقد من حفصة تنزين به لزوجها هذا أيضاً من حسن التبعل تنزين به تتحلى به لزوجها للنبي - ﷺ - فلما اشتكت للنبي - ﷺ - أنه ضاع جلس وجلس الناس معه يريد أن يبحث عن العقد إرضاءً لعائشة أسيد بن حضير ما احتمل ذهب إلى أبي بكر فقال: **يا أبا بكر أرأيت ما فعلت عائشة بالنبي وبالناس قال: ما فعلت؟! قال: أجلس النبي والناس وليسوا على ماء وليس معهم مال ، وتلحظون آية التيمم لم تنزل بعد والصلاة منوطة بالطهارة لا بد من الوضوء: " يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "** (6) /المائدة.

لا بد من الوضوء ما في تيمم ما نزلت آية التيمم فاشتط أبو بكر غيظاً فدخل عليها وهي قالت: فدخل على أبو بكر ولم تقل أبي لأنه وكزها وكزة شديدة وإن كان في بعض الروايات قالت: أبي فوكزها في خاصرتها فقال لها: يا لكع جلستي وأجلستي رسول الله جلستي بالنبي وبالناس وليسوا على مال وليس معهم ماء : أي كيف يصلون؟
الفجر الآن قريب كيف يصلون؟

قالت: والنبي نائم على حجري وجاء أبو بكر وأخذ يضربها في خاصرتها أضعف شيء فيها تقول: ولا أتحرك لمكان رسول الله - ﷺ .

والفائدة الآن فيما تقول الآن في حسن العشرة أقول: التوقير لزوجها فلذلك ما تحركت من أجل النبي ما تحركت فنزلت آية التيمم فكانت البركة أنها تعلمت من النبي - ﷺ - أموراً لأنه كان ينام على حجرها ونام على حجرها وكان يقرأ القرآن وهو نائم وكانت حائضاً وهل تقرأ هي القرآن؟

ما تقرأ فكيف التعليم بلسان الحال هذا يأتي إن شاء الله في الحلقة القادمة ، أسأل الله تعالى أن ينفع بذلك الأمة الإسلامية وأن يغفر لنا الزلات والسقطات والهفات وما أكثر ذلك وأن يتوب علينا توبة نصوحاً وأن يجعلنا ممن خرج من رمضان وكان من عتقائه من النار وأن يجعلنا بجلد غير الجلد وجسد غير الجسد وقلب غير القلب هممة راقية سامية إلى الله وإلى المعالي وأن يجعلنا ممن ينصر بهم الله الدين أن ننصر سنة النبي - ﷺ - وأن ننشر الحق بين الناس وأن نعمل به اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها شيئاً.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الحلقة (٩) التاسعة والأخيرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " . (آل عمران / ١٠٢)

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " . (النساء / ١).

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا " . (الأحزاب / ٧٠-٧١)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار:

أما بعد إخوتي الكرام: قال ربنا في كتابه البيان القرآن : " يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " . (11) / سورة المجادلة.

وطرح سؤالاً في كتابه والكتاب كله يُجيب عن هذا السؤال والسنة أيضاً بال لزوم وبالأصالة تجيب على هذا السؤال قال الله تعالى: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنََّّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " . (9) / سورة الزمر.

كان قبلها العمل وإلا فالعلم هتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل قال الله تعالى:
" أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنََّّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " . (9) / سورة الزمر.

فهنا الله - جل في علاه - بيّن لنا أن ما تقدم في الآية عمل وعبادة لله - جل في علاه - ثم ختم الآية بقوله: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ". (9) / سورة الزمر.

والإجابة لا يستون ولذلك قلنا: أن عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - زوج النبي ارتقت فوق كل النساء على الخلاف الذي ظهر بين العلماء بينها وبين خديجة لكن كما قال الإمام الذهبي قال: عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - أعلم النساء على الإطلاق.

ونحن بصدد الكلام على ختام السلسلة فهنا: ارتقاء المرأة بزوجه وارتقاء الزوج بزوجه والإحسان والمعاشرة والخير أن يُعَلِّمَ الزوج زوجته أن يرفع عنها الجهل قلنا: المنطقة الحوارية والقناة الحوارية بين الرجل وبين زوجته يتجاذبان أطراف الحديث معًا ويحترم كلاً منهما عقلية الآخر ويتعاونان على البر والتقوى أو على جزئية علمية يرتقيان بها عند ربهما - جل في علاه - هذا يقوي جدًا أواصر المحبة بينهما مع تآلف القلوب وأيضًا كذلك تنتفع المجتمعات بأسرها لأن الأسرة هي نواة في المجتمع وكل أسرة يكون فيها مثل هذا الفكر الأصيل وأيضًا التعاون الجميل بين الزوج وبين زوجته فالمجتمعات ترتقي جدًا في هذا الباب القناة الحوارية بينهما أن يرفع عنها الجهل أن يؤسس لها أسسًا علمية لاسيما وأن النبي قال: " طلب العلم فريضة على كل مسلم".

هناك زيادة هي زيادة شاذة : " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " .

لكننا نقول في هذا الباب أنه إن لم يستطع أن يفعل يفتح لها الباب وييسر لها السبل والطرق أن تتعلم علم الشرع وأن ترتقي به وأن تُعلم البنات والأولاد وهذه المسألة مسألة راقية وأيضًا يرتقي بها المنزلة وكل ما يكون من حسنات يكون في ميزانه.

بيّن أن النبي طَبَّقَ قول الله - جل في علاه - : " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ". [النساء: ١٩]

وأيضًا أظهر جليًا بلسان الحال قول النبي - ﷺ - " الله الله في النساء اتقوا الله في النساء فإنهن عوانٌ عندكم".

وأيضًا قول النبي - ﷺ - " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".

وظهرت خيرية النبي - ﷺ - في أهله بأنه رفع عنهم الجهل وعلمهم ثم أمرهن الله - جل في علاه - " وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ". [الأحزاب: ٣٤].

وأرفع النساء منزلةً كانت عند نبينا - ﷺ - هي عائشة هي التي حظيت بعظيم الفضل من الاحتواء الكامل أو قل سعة علم ارتقت بها عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - منزلةً عند رب العباد ومنزلةً عند سيد الأنام - صلى الله عليه وسلم.

كان النبي لما يُسأل من أحب الناس إليك كما في حديث عمرو بن العاص : " أنه لما رجع من غزوة ذات السلاسل قال يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ فقال النبي - ﷺ - عائشة..." .

صدر الباب بعائشة - رضي الله عنها وأرضاها - ولما كان في مرض الموت كان يقول وانظر أدباً على أن بعض المحققين من أهل العلم يقولون: أن القسم ليس واجباً على النبي :
" تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا " . [الأحزاب: ٥١].

فكان النبي - ﷺ - يقول: " أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟ " .

يُعْرَضُ بأنه يريد أن يُمرَّض في بيت عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - لمكانة عائشة - رضي الله عنها وأرضاها.

لما انتصرت كما بيَّنا قبل ذلك لنفسها مما حدث معها من زينب بنت جحش - رضي الله عنها وأرضاها - النبي كان فخوراً بها وقال: " إنها ابنة الصديق بنت أبيها".

فكان فخوراً بها بأبي هو وأمي.

عامةً ضرب لنا أروع الأمثلة لنا تسي به لنا في رسول الله أسوة حسنة في تعليم زوجه وأيضاً إزالة الجهل عنها فإن كان الزوج لا يستطيع يفتح لها الأبواب لذلك وتكون المسألة كما قلنا احتساباً ابتغاء وجه الله - جل في علاه - فبرمتها الحسنات تكون في ميزانه.

النبي ضرب لنا أروع الأمثلة في تعليمه لعائشة - رضي الله عنها وأرضاها - رفع عنها الجهل في باب الاعتقادات في باب المعاملات في باب العبادات ولذلك عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - كانت تقول: على الخبير سقط أنا أعلم بذلك.

ولما كان الخلاف يظهر من الصحابة فاصل الخطاب كان يكون عند عائشة لو كل واحد منا أتقن باباً من الأبواب لاسيما أبواب الطهارة أبواب الحيض وهذه الأبواب أبواب عظيمة جداً مشكلة ومشكلة فلو أغنانا طالب علم متقنٌ لهذا الباب وعلمه لامراته فأغنت النساء أن تسأل دون أن توقع نفسها في الحرج فتتقن هذه الأبواب لكان خيراً كبيراً.

عامّة النبي - ﷺ - ما ترك شاردة ولا واردة ولا شاذة ولا فاذة إلا وعلمها لعائشة - رضي الله عنها وأرضاها - وكان ذلك من باب التعاون على البر والتقوى فبينهما عبادات وأعظم هذه العبادات كما قلنا نشر العلم فإنه شرف ليس بعده شرف.

قال الإمام الثوري: هذا العلم شريف من أراد به الآخرة أخذها ومن أراد به الدنيا أخذها.

ولذلك كان علماؤنا يقولون: وقدّر كل امرئ ما كان يُحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء.

فالعالم رفعة ليس بعدها رفعة لاسيما وأن العلم اصطفاء النبوة هبة واصطفاء من الله - جل في علاه - فالعالم اصطفاء ولقائل أن يقول: أنت قلت أنك لا تتحرك ولا تتكلم إلا بدليل حتى تكون براءة الساحة أمام الله يوم القيامة فإن سئلت أقول: القياس على ذلك قال به العلماء فأكون ممن يسير على كتاب وسنة أداة النجاة فإن قلنا أن العلم اصطفاء نعم العلم اصطفاء إذن وافق النبوة في ذلك فالنبوة اصطفاء أيضا النبوة هبة من الله - جل في علاه - " الله يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " (75) / سورة الحج.

فهذا رد على الفلاسفة أهل الأهواء الذين يقولون بالدربة والممارسة يمكن أن تُكتسب النبوة فهذا كلام مخالف ومغاير للتنصيص في الكتاب وفي السنة على النبوة.

الغرض المقصود: العلم اصطفاء كما أن النبوة اصطفاء لذلك نحن نقول: اللبيب الأريب إن وجد أحداً مُتَقَنًا للعلم وصدره الله لنشر العلم فلا بد أن يعلم أن الله اصطفاه لنشر العلم من باقي البشر وليعلم أن الله له حكم وشؤون في عبادته والعلم لؤلؤة ثمينة واللؤلؤة الثمينة ليس خبطاً ولا عشواءً ليس لأي أحد أن يقتني هذه اللؤلؤة لابد أن يكون مستحقاً لها فالعالم اصطفاء ودعك من الشبهة التي تأتيناك بأن الذين يحيدون من علمائنا فلهم شبهة من أهل الكتاب!!

هؤلاء ليسوا بعلماء لو محّصت النظر ودققت لن تجدهم علماء بحال من الأحوال.

من اصطفاه الله - جل في علاه - فأتقن علماً وشهد له الجميع بالإتقان فاعلم بأن هذه من الله اصطفاء من الله فهم أولياء الله ولذلك قال الإمام أبو حنيفة في قوله - ﷺ - قال: قال الله تعالى: " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب.. "، الله يُحَارِبُ لأوليائه فقال أبو حنيفة: الفقهاء هم أولياء الله.

قال الإمام الشافعي: إن لم يكن العلماء هم أولياء الله فلا أعلم لله ولياً.

اصطفاهم الله على الناس كما أن الله اصطفى الصحابة على الناس كما أنه اصطفى النبي على الناس.

وكما في الدارمي بسند صحيح عن ابن مسعود: أن النبي قال: " إن الله نظر إلى قلوب العباد فوجد أصفاهم وأنقاها قلب محمد - ﷺ - فاصطفاه لرسالته ونظر في قلوب العباد فوجد أصفاهم وأنقاها قلوب أصحابه فاصطفاهم لصحبة نبيه - ﷺ - ".

غرسهم غرساً لعبادته ولنصرة دينه وإلى دعوته.

العلماء أيضاً يصطفاهم الله بالقلوب ولذلك ابن عباس كان يقول: يُرْتَى الفهم وأصل العلم الفهم ليس الحفظ.

ولذلك قد تجد الرجل يحفظ الكتب الستة بل الكتب التسعة تضعه في الرف مع أهل الحفظ لأن الضبط ضربتان: ضبط كتابة وضبط صدر الأصل في ذلك العلم والعلم هو الفقه.

لذلك ابن عباس يقول بأن النبي دعا له وقال: " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

وفي حديث معاوية في الكتب الستة أن النبي قال: " من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين".

ولذلك عمر كتب إلى أبي موسى وإلى غيره: الفهم الفهم فيما يأتيك.

قال تعالى: " فَهَمَّاهَا سُلَيْمَانٌ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ". (79) / الأنبياء.

وقال عن خاصة العلماء: " وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۖ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ". (83) / النساء.

فالحفظ نعمة كبيرة لكن ليست علماً العلم هو الفهم الفقه هذا هو العلم.

ولذلك التقليد ليس علماً والمقلدة الذين يريدون نشر التقليد للناس هؤلاء لهم مآرب أخرى هذا هدم لبشارة النبي لهذه الأمة والأمة فيها خيرية فكيف يُقال بأنه لا اجتهاد ولن نجد مجتهداً في هذه العصور؟!

هذا يُحَجَّرُ واسعاً هذا يرد على الله قوله من رحمة الله بالأمة أن جعل فيها الخيرية: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۖ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ". (110) / آل عمران.

والنبي يقول: " أمتي كالْمَطَر لا يُدرى الخير في أوله أم في آخره".

ولذلك النبي - ﷺ - يقول هذا على مر العصور : " لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ."

وهم العلماء هم أعظم أساس في هذا الباب هم العلماء.

الغرض المقصود: الأصل الفقه والفهم كما قال النبي - " من يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين".
هذا هو العلم: الفهم الفهم فيما يأتيك.

وقدر كل امرئ ما كان يُحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء.

فهنا: ترفعت عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - وارتقت في منزلة راقية سامية وهي زوج النبي في الدنيا وفي الآخرة وأعلم نساء العالمين على الإطلاق.

لذلك من حُسن العشرة أن يبدأ المرء أن يُعلم زوجه وأن يرفع عنها الجهل يتعلم هو أولاً ثم يُعلم زوجه هذا من حُسن العشرة هذا تطبيقاً لقول الله - جل في علاه - : " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ".
[النساء: ١٩].

لو قال ما عندي وقت أنا مشغول نعم افتح لها المجال لتتعلم فلك في ذلك الأجر ولها في ذلك تقويم لإخراج النبت الصالح كما قلنا الأسرة نواة من المجتمع وممكن أن تُخرج لنا هذه النواة جبلاً.

لك أن تبحث عن الشافعي أنظر هؤلاء أمراء هم سادة الناس أنظر سادة الناس من السبب في تخريجهم للأمة بأسرها..

← **الشافعي:** من أخرجه؟
الإجابة: أمه.

← **مالك:** من دفعه لأن يتعلم من سمته ودلّه على ربيعة ويكون هو مالك الذي قيل فيه أئفتى ومالك في المدينة؟!
الإجابة: أمه.

← **الثوري:** المُحدِّث الفقيه البارِع بحر الرواية من أخرجه؟
الإجابة: أمه.

وهكذا إن نظرت إلى التاريخ..

البخاري إمام أهل الشأن العلم الجبل في أمتنا الإسلامية مفخرة الإسلام البخاري أمه كانت تدعو وتبكي لما عمي فرد الله له بصره بدعاء أمه له وابتهاال أمه وتشجيعها له في طلب العلم.

فالحاصل أنك إذا التمت بالمرأة مبتغيًا بذلك وجه الله - جل في علاه - محتسبًا فأنت أرقى الناس قد تُخَرَّج للناس من يحمل الناس جميعًا إلى الجنان والعلم ما قلنا اصطفاء العلم شرف واصطفاء والدليل على ذلك قول الله - جل في علاه - : " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ". (32) / سورة فاطر.

فكما أن النبوة اصطفاء: " اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ". (75) / سورة الحج.

فالعلم أيضًا اصطفاء فإن وجدت مُتَقَنًا للعلم فاعلم أن الله اصطفاه وصدّره للناس لشيء في قلبه كن لبيبًا أريبًا فلا تُعَادِيهِ حتى وإن وجدت منه السقطات والزلات لاتكن أعور العين القمر مستتير وأنت تترك هذه الإنارة وتنظر إلى جانب مظلم تقف عنده هذا فعل المنافقين أنهم لا يرون إلا السيء والسيء لا يرى إلا السيء والجميل لا يرى إلا الجميل تقيّم الناس فنّ آخر وعلم آخر ومعرفة تقيّم الناس تصل بالمرء إلى ثمرة عظيمة إلى حكم صحيح وكلما أخطأت في التقييم كلما أخطأت في الحكم وكلما أخطأت في الحكم حدثت عن الصواب ولم تصل إلى الثمرة التي ترجوها أبدًا وما تُأمله وهذا كثير والعجيب أنه يقع فيه الكثير حتى ممن يتصدروا للدعوة إلى الله - جل في علاه - ما استطاعوا أن يُقَيِّمُوا من أمامهم التقييم الصحيح ما نظروا نظرة بعينين جميلتين ونظروا بعين عوراء لاسيما وأن في الصدور يعتمل ما يعتمل لأن المحب لا يرى المعاييب ليرى كل الكمالات أما المبغض عينه لا تقع إلا على العيب وهذا من عيبه لأنه معيب وهذا فعل المعتزلة المبتدعة وفعل المنافقين.

أرأيت كيف كان من أعطى كثيرًا ؟ ، كان رجلٌ يُعطي كثيرًا فقالوا: يفعل ذلك رياءً وسمعة..

يتهمون النوايا كما يحدث الآن عندنا طائفة تُبَدِّع البشرية بأسرها وتأتي على العلماء وغير العلماء وتقع في أعراضهم وتتكلم فيهم إن وجدوا حسنةً قلبوها سيئةً لا يرون إلا السيء..

فهم يقولون يفعل ذلك رياءً وسمعة وإن كان فقيرًا قالوا: جهد المقل يتصدق بالقليل يقولون: الله غني عن مثل هذه الصدقات يلمزون المؤمنين في كل أحوالهم هذا فعل المنافقين.

فلا بد أن تُقَيِّمَ تقيماً صحيحاً فالله يصطفي من يشاء ليعطيه هذا العلم **فلذلك أنا أصل بهذا الأمرين:**

الأمر الأول: أن هذا اصطفاء وأننا إذا تكلمنا عن أزواج النبي فاصطفى الله أزواج النبي لقطع ألسنة الروافض الخبيثاء الذين يتكلمون عن عائشة وهي أعلم نساء العالمين اصطفاها الله - جل في علاه - زوجة نبينا - ﷺ في الدنيا وفي الآخرة وبرأها الله من فوق سبع سماوات فهذه مكانتها عند ربها - جل في علاه - ثم اصطفاها بالعلم فذلك من قَدَمها على خديجة قَدَمها بالعلم ولأن العلم شرف ليس بعده شرف فهو اصطفاء وإن كان كما قلنا: الزوج الذي علّم زوجته فهذه منقبة عظيمة له وهو المطبق الأصل لقول رب العالمين : " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ "[النساء: ١٩].

النبي مازال يُعلّم عائشة ومازالت عائشة تسأل من أجل أن تتعلم فعائشة - رضي الله عنها وأرضاها - لما كانت خلف النبي - ﷺ - وهذا قلناه في الحلقة الماضية عندما قالت: " أو كل مأئكن في صدورنا يعلمه الله؟ فوكزها النبي وعلمها بأن الله يعلم السر وأخفى".

وهذا عذر بالجهل ردًا على بعض الانحرافات وهذه ليست انحرافات حقًا حتى أكون منصفًا المسألة فيها بعض الخلاف لكن هناك تشدد في مسألة عدم العذر بالجهل في مسائل الاعتقاد..

مسألة الاعتقاد مسألة مهمة جدًا وأن تعتقد أن هناك عذر بالجهل هذا عليه أدلة كثيرة من القرآن والسنة وترجيح المحققين من أهل العلم نذكر الآن دليلاً على ذلك وهو: الرجل الذي قال لأولاده كيف لكم أنا لكم؟ فقالوا له: أنت نِعَم الأب فقال: فإن أنا مت فاسحقوني وذروني واجعلوا نصفي في البر ونصفي في البحر فجمعه الله - جل في علاه - وقال له: " ما حملك على أن تفعل ذلك؟ فقال الرجل خشيتك يا رب".

هذا الرجل ضل عندما قال: لو قدر الله عليّ ليعذبني : أي لو أعادني كما كنت ليعذبني ولا أستطيع عذاب الله - جل في علاه - ضل في باب القدرة لكنه قلبه امتلاً خشيته ومخافة من الله - جل في علاه - فلما قال خشيتك قال الله: " أدخل الجنة برحمتي".

هذا دليل وعمدة في مسألة العذر بالجهل.

وقدر كل امرئ ما كان يُحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء وأخص الناس وأعظم الناس مكانة عندك بأن يرتقي علمياً زوجك وأولادك وهذا أيضاً فيه القرية من الله - جل في علاه - بالإحسان إلى أهل البيت قال الله تعالى: " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ "[النساء: ١٩].

فالتمسنا النبي - ﷺ - لأنه الأسوة فوجدناه يفعل ذلك مع أزواجه وقد أمرنا الله فقال: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا". [الأحزاب: ٢١].

أمرنا الله بالتأسي برسول الله - ﷺ - فلنُسارع ولنعلم أننا نرتقي مكانةً راقيةً ساميةً عند ربنا - جل في علاه - بتعليم الأزواج فإنها تُقوي أواصر المحبة وتجعل الأنس والألفة بين القلوب أقوى ونحن أحوج ما نكون إلى بناء البيت وإلى استقامة البيت بل وللحفاظ على قوام البيت.

النبي - ﷺ - كان يُطلق العنان لعائشة - رضي الله عنها - بالحوار والمراجعة وتجاذب أطراف الحديث كثير منا إذا دخل بيته كأنه الأسد المستأسد ما يسمع ولا يريد أن يسمع ويتهم بالجهل قد نفع نحن في ذلك لكننا لا نقصده ونحاول قدر الإمكان أن نلين وأن نتراجع خُلُقًا ونقول: " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا وخيركم خيركم لأهله".

فالنبي أطلق لها العنان في الحوار والمراجعة من ذلك : كان النبي معتكفًا فنأى على عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - فقال : " يا عائشة ناوليني الخُمرة..".

أي سجادة الصلاة: فقالت: " إني حائض..".

وانظر الحوار هنا بين النبي وعائشة فيه إظهار لما كانت عليه عائشة من الذكاء والفتنة وأيضًا من العلم أنها تعلمت من النبي أن دخول الحائض المسجد لا يجوز

مع أن المسألة خلافية اختلف العلماء في ذلك وهذا فيه شيء من اختلاف الفقهاء في النظر واختلاف وجهات النظر والفهم في هذا لكن الخلاف ضعيف والصحيح أن المرأة لايجوز لها أن تدخل المسجد إن كانت حائضًا ومن تمسك ببعض الأدلة سنُبينها إن شاء الله لكننا في أصيل الأمر نتكلم عن عائشة تعلمت من النبي وراجعت النبي هي راجعت النبي في أكثر من مسألة عقدية حتى في مسألة الحشر عندما قال النبي: " يُحشر الناس يوم القيامة خُفاة عُرَاة غُرْلًا..".

أي غير مُختنين قالت: " أو ينظر بعضهم إلى بعض فقال النبي: لا الأمر أشد من ذلك يا ابنة الصديق".

أقصد المراجعة راجعته في ذلك ولما قال : " من نوقش الحساب عُذِب".

راجعته قالت قال الله تعالى: " فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا " (8) / الانشقاق.

وهنا هي تعلمت منه أن المرأة الحائض لا تدخل المسجد.

فراجعته تتعجب قالت: " يا رسول الله إني حائض " : أي قد تعلمت أن الحائض لا تدخل ولسائل أن يسأل أنت تظن ذلك هذا من عندك

أقول: لا غالب الظن أنها تعلمت منه والدلالة أما قال النبي - ﷺ - لعائشة عندما دخل عليها لما حَجَّت مع النبي ووجدها تبكي فقال لها: " ما يُبكِيكِ أَنْفُسْتِي ؟ قالت: نعم فقال: هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم..".

ثم قال: " افعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت".

هي ممنوعة من الطواف لأن شرط الطواف الطهارة وهي ممنوعة من دخول المسجد فهي تعلم ذلك وأيضاً حديث النبي حديث أم عطية قالت: " أُمِرْنَا أَنْ نُخْرِجَ الْحَيْضَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعَا الْمُسْلِمِينَ وَيَعْتَزِلَ الْحَيْضُ الْمُصَلِّيَّ".

مع أن المُصَلِّي ليست في رتبة المسجد ومع ذلك عزلهن عن المُصَلِّي قال: " ويعْتَزِلَ الْحَيْضُ الْمُصَلِّيَّ".

وهذه أيضاً فيها دلالات أنها تعلمت من النبي أن المرأة الحائض لا تدخل المسجد.

فلما قال لها: " ناوليني الخُمرة".

فهي كأنها تقول: أناوله الخُمرة وهو معتكف في خبائه إذن سأدخل وسأعطيه الخُمرة وأنا ممنوعة من دخول المسجد فراجعته هذه القناة الحوارية ليست المسألة أنه إذا قال لأبد من السمع والطاعة وإن زجر فلا بد أن ينزجروا وإذا أمر فلا بد أن يستمعوا لا المسألة فيها أخذ وعطاء تجاذب أطراف الحديث وذلك الذي يُبين في الشخصية الرقة التي يُمكن أن تترابط بين القلوب والأنس والألفة والمحبة.

فقالت: " يا رسول الله إني حائض".

كأنها تقول: وقد فهمت منك أن الحائض لا تدخل المسجد وأنت تريد الخُمرة وإن أعطيتك إياها سأدخل المسجد وإن دخلت فقد وقعت في المحذور.

النبي ما أنكر عليها هذا الفهم وهذا الفهم بينته بالأدلة السابقة التي سردها عليكم الآن.

فقال لها النبي - ﷺ - مُقَرِّراً لها على أن الحائض لا تدخل المسجد قال: " حيضتك ليست في يدك".

والأصل أن الجزء يأخذ حكم الكل إلا ما دل الدليل وهنا دل الدليل على أنها لو وقفت على الباب وناولته الخُمرة وهي السجادة وأخذها من يدها لا تكون داخلة في المسجد يعني لو يدها في المسجد لا تكون داخلة هذه المسألة مهمة جداً ممكن يتفرع عليها فقهيات كثيرة جداً منها:

لو رجل قال لامرأته: لو دخلتِ الدار فأنتِ طالق: فأدخلت يدها فلا تكون طالقًا مع أن يدها جزء منها لا تُطْلَق لِمَا؟
لأنها لم تكن داخلة بدخول يدها لأن النبي قال: "حيضتك ليست في يدك".

يعني لو مددت يدك وأخذت أنا منك الخُمرة دون أن تدخل يديك حيضتك ليست في يدك يُبين ذلك معنى ذلك: أنه أقرها على أن لا تدخل لكن بيدها تتاوله الخُمرة لأنه قال: "ناوليني الخُمرة".

فيتناولها منها فهي فهمت فأقرت فعلمت الناس جميعًا أن المرأة الحائض لا تدخل المسجد.

شبهه من قال حتى لا نترك المسألة تمشي هكذا لأن في كثير ممن يتأثر بقول ابن حزم والإمام الألباني محدث العصر - رحمة الله عليه - وهؤلاء علماء نبلاء رؤوس في الأمة لكن قد يُصيب المرء ويخطئ والمسألة خلافية لكن فاصل ذلك أن الحق عند الله واحد لا يتعدد الفاصل في ذلك قال الله قال الرسول.

هم يقولون: الأصل عدم المنع إذن كان الأصل عدم المنع فإن عائشة بيّنت بالدليل أنها امتنعت وأقرها النبي على أن لا تدخل المسجد وحديث: "لا أحل المسجد لحائض ولا جنب".

حديث ضعيف لا يصح لكن عندنا أدلة كثيرة التي بيّناها هنا على أن المرأة الحائض لا تدخل المسجد.

والآية أصالة: "وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ..". (43)/ النساء.

والحائض أولى من الجنب ويستدلون بحديث: "المرأة السوداء التي كانت تقم المسجد".

قالوا: هذه كان لها خباء في المسجد وكانت تعيش في المسجد وتقم المسجد فلما ماتت أسفا النبي عليها ولا مهم لأنهم لم يخبروه بذلك فذهب وصلى عليها وجمع الناس للصلاة لأنه كان نائمًا بالليل فخشي كل واحد منهم أن يوقظ النبي - ﷺ - لأنه يوحى إليه لكنه وفاء لها ذهب إلى قبرها وصلى عليها - ﷺ.

قالوا: هذه المرأة كان لها خباء في المسجد حظيت بمكانة لأنها كانت تُنظف المسجد حظيت بمكانة عند النبي - ﷺ.

فهي تجلس في المسجد وفي أيام الحيض تجلس أيضًا: هذا أمر محتمل ولا يمكن أن تُعارض به المحكم قال: "ويعتزل الحيض المصلى".

هذا محكم صريح أمر باعتزال المُصلى مع أنه أمر بإخراجهم يشهدن الخير ودعوة المسلمين فقال: " ويعتزل الحيض المُصلى".

وأيضاً قال: " افعلي كل شيء غير أن لا تطوفي بالبيت".

أنت ممنوعة من الدخول أصالةً والطواف بالبيت على قول جماهير أهل العلم أنه يُشترط فيه الطهارة.

هذا محتمل نعم كانت وهي حائض تجلس في المسجد أو كانت من تعليم عائشة لها علمت أنها إن كانت حائضاً لا تدخل المسجد لأن عائشة تعلمت من النبي وكانت تُعلم الأخريات فهي كانت تجلس في المسجد وفي وقت الحيض تخرج وتجلس عند إحدى الصحابيات حتى تنتقضي مدة الحيض ثم ترجع إلى المسجد الاحتمال وارد والقاعدة عند العلماء: الدليل إن تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

كما قلت: المحتمل لا يقاوم المحكم وهو: " ويعتزل الحيض المُصلى".

الشاهد: أن النبي علم عائشة فتعلمت وأطلق لها العنان في منطقة الحوار فجاذبها أطراف الحديث لما قال لها: " ناوليني الخمرة".

قالت: " إني حائض".

أي: كيف أدخل المسجد وأنا حائض وأنت منعتني من الطواف بالبيت وأنا حائض ولا أدخل وأنا حائض المسجد فمنعتني من دخول المسجد فقال: " حيضتك ليست في يدك".

يعني: يدك ليست كلك : " حيضتك ليست في يدك".

وهذا من تعليم النبي لعائشة وفيه دلالة على فقه عائشة - رضي الله عنها وأرضاها. " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ". [النساء: ١٩]. **تعليمًا للأزواج.**

أيضاً من ذلك أن النبي - ﷺ - كان قد علم عائشة بأن الرضاع يُحرّم حتى أن عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - خالفت كل أزواج النبي - ﷺ - وقالت: بأن رضاع الكبير يُحرّم وهذه مسألة خلافية لسنا بصدد التفصيل فيها الآن لكن أقصد هي تعلمت وأتقنت من النبي - صلى الله عليه وسلم.

مر عليها أخو ابن أبي القعيص وهو زوجته أرضعت عائشة خمس رضعات مشبعات فصارت أمًا لها في الرضاع وزوجها صار أبًا لعائشة في الرضاع من الذي يأتي ؟

أخوه وهو إما أن يكون عمًّا لها أو لا أخوه دخل فدق الباب عليها يستأذن فما أدخلته قالت: إنما أرضعتني امرأت أبي القعيص وهذا أخوه ماله ولي؟!
هذا أجنبني عني فلم تُدخله فهنا علمها النبي - ﷺ - فلما علّمها تمسكت حتى ذهبت مذهبًا بعيدًا عن زوجات النبي - ﷺ - في الرضاع الذي يُحرّم فقالت: إنه أجنبني عني لا يدخل فلما جاء النبي بادرته لأن حُسن العلم السؤال في امرأة تستحي تقول: إن سألته سيقول أنت جاهلة أو يبتسم ابتسامة المغضب وينظر إليّ على أنه أرفع مني منزلة في العلم!
ضاع العلم بين مستكبر ومستحي إذا لم يكن مُعلم هو تعلّمي أنتِ رغبًا عنه.

فانظروا عائشة كانت تُبادر وتَسأل ولذلك كانت من أحب النساء إلى النبي - ﷺ - فبادرت النبي وقالت: أما رأيت أبا القعيص جاءني فمنعته من الدخول وقلت: إنما امرأة أبو القعيص هي التي أرضعتني فقال لها النبي - ﷺ - " **رحمك الله أدخله إنه عمك من الرضاع**".

وهذا أدب النبي مع طالب العلم رفقا بطالب العلم لأن طالب العلم تاج فوق الرأس طلبه العلم في هذا الزمان لآلئ منثورة لا بد أن تعرفوا لهم قدرهم.

هنا تعلمت أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهي كانت رأسًا في الباب لترجيح التوقيت في مسألة التحريم هل الرضعة تُحرّم؟ هل الرضعتان تُحرّم؟

المسألة خلافية وعائشة كانت فاصلة في الخطاب في هذا الباب كما قال الشافعية والحنابلة يقولون: ثلاث رضعات لقوله: " **لا تُحرّم الإملجة ولا الإملجتان ولا الرضعة ولا الرضعات**".

قالوا: مفهوم المخالفة الثلاث تُحرّم.

وقال ابن حزم: قال رضعة واحدة تُحرّم لقول الله - جل في علاه -: " **وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ**".

فلم يُؤقت توقيتًا لرضعة أو رضعتين أو ثلاث فجاءت عائشة ففصلت وقالت: كان ما يُقرأ من القرآن عشر رضعات مشبعات يُحرّم ثم نُسخن إلى خمس رضعات وهذا نسخ تلاوة ونسخ أيضًا حكم لأن النسخ في القرآن:

(١) نسخ تلاوة دون الحكم.

(٢) نسخ حكم دون تلاوة.

(٣) نسخ الحكم والتلاوة.

لسنا بصدد التفصيل فيه لكن هنا: نسخ الحكم والتلاوة العشر رضعات ثم بقيت قالت: خمس ركعات مشبعات يُحرّم من.

عائشة تعلمت ذلك من النبي - ﷺ - وبثت ذلك بين الناس جميعاً ولذلك ارتقت منزلة عالية. "وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ". [النساء: ١٩].

وخير المعاشرة أن ترفع عنها الجهل وأن تزينها بالعلم فالعلم شرف ليس بعده شرف.

وأيضاً عندما قرأ النبي - ﷺ - القرآن في حجرها كانت حائضاً فاستنكرت كانت عالمة حقاً وربّي فاستنكرت ذلك وهي قالت: "النبي - ﷺ - كان يقرأ القرآن وهو في حجري وأنا حائض".

أي: حالة كوني حائضاً والحائض ممنوعة من قراءة القرآن وإن كان الحديث الذي جاء في المنع من القراءة حديث ضعيف لكنه يُحسن عليّ قال: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يمنع من قراءة القرآن من شيء سوى الجنابة".

وهذا الحديث موقوف على عليّ ويُحسن على الراجح الصحيح بل يرتقي إلى درجة الاحتجاج وعليّ نفسه هو راوي هذا الحديث والراوي أعلم بما روى قال: الحائض لا تقرأ القرآن ولا حرفاً واحداً.

لكن عائشة كانت تعلم ذلك كما قلنا: وتبث بين الناس ما تعلمته عملاً بقول الله - جل في علاه - "وَإِذْ كُنَّا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا". [الأحزاب: ٣٤].

وأنتم تعلمون كيف كان النبي في قوله وفي فعله بأبي هو وأمي كان يُعطي عائشة ديناراً ويدور على كل نسائه ويُعطي كل واحدةٍ منهن ديناراً وإن كان الحديث فيه ضعف لكن نستأنس به.

فكان النبي إذا علّم امرأة يُعلّم الأخريات كان يُعلّم نساءه ولذلك أم سلمة - رضي الله عنها وأرضاها - تعلمت من النبي ما عليه سماحة الدين وسماحة الإسلام.

اليهود والنصارى كانوا يتعاملون مع المرأة الحائض تعاملًا متباينًا اليهود: يهجرونها لا يأكلونها لا يُشاربونها لا يجتمعون معها في مكان ولا في بيت ولا في غرفة ما يجتمعون معها في مكان!

والنصارى: يُجامعونها حالة كونها حائضاً!

الإسلام جاء وسطاً بين الأمتين إن كانت حائضاً لا يُجامعها الجماع حرام لأن الحيض أذى قال الله - جل في علاه - " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ". [البقرة: ٢٢٢].

لكن لا هجران بل يأكل من المكان الذي أكلت منه ويشرب من المكان الذي شربت منه عائشة كانت تقول ذلك: كانت تقول: كان النبي - ﷺ - يتبع مكان فمي، فيتبعه ويشرب من المكان الذي شربت منه.

أم سلمة تعلمت أيضاً ذلك ونشرت ذلك بين الناس لما كانت نائمة في لحافها مع النبي - ﷺ - حاضت فاستحيت فخرجت أدباً مع النبي فهي أسرع تغيّر ثيابها فنظر النبي - ﷺ - لها وقال: " أنفست؟ قالت: نعم فغيرت ثيابها فقال تعالى فأخذ بيدها فجعلها في لحافه ضمّاً إليه حالة كونها حائضاً".

فبينت للأمة بأسرها أن الإسلام الوسطي هنا وسط بين أمتين غلو وجفو لأنه للمرأة كرامة وهذا أمر ابتلاها الله به فلا يمكن أن تظهر النفرة منها في ذلك بل ضمها إليه حالة كونها حائضاً وكان حتى يباشر يضم ويُقبل كما قالت عائشة: " إذا حاضت إحدانا أمر النبي - ﷺ - إحدانا أن تنزر ويُبَاشرها فور حيضتها".

فتعلمت ذلك أم سلمة من النبي وعلمت الأمة بأسرها أن من أفاض الماء على نفسه على بدنه يكون قد طهر لا يحتاج إلى الوضوء ويصلي إن أراد الصلاة سواء الحيض أو الجنابة لأنها قالت: يا رسول الله: " إني امرأة لي صفائر أفانقض صفري شعري حتى أغتسل؟ قال لا إنما كان يكفيك أن تحثي ثلاث حثيات على شعرك ثم تُفِضي الماء على جسدك فأنت قد طهرتي".

وطهرتي: أي تصح الصلاة بهذه الطهارة لأن الله قال: " فَاطْهَرُوا" (6)/ المائدة.

وهي تطهرت فلها أن تُصلي فمن عمم الجسد ونزل تحت الماء وخرج ليصلي فله أن يُصلي مادام أنه انتوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة.

وهذا تعليم النبي لأم سلمة أم سلمة كان لها حلق وأساور تتزين به للنبي وهذا بعيد عن النساء الآن ما أدري المرأة بعد شهر من زواجها الذهب هذا كأنه ما خُلِق لها ولا تتحلى لزوجها ولا تهتم بنفسها يعني هي تزوجت وانتهى ثم حملت وانتهى سَكَبَ له بالأولاد منطقٌ ضعيف جداً وعدم فهم المرأة الرائعة هي المرأة المتجددة المبدعة التي في كل مرة يدخل الزوج عليها يراها بشكل غير الشكل الآخر تُغيّر زينتها تُغيّر حالها تُغيّر ثيابها تكون امرأة لبيبة أريية.

فكل نساء النبي كُن يتزين للنبي - ﷺ - فكانت أم سلمة لها زينة تتزين بها لكن خشيت على نفسها من قول الله - جل في علاه - " وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ". [التوبة: ٣٤].

فقالت: أهذا كنز يا رسول الله؟ هذا اتحلّى وأتزين به لك فقال النبي : " ما أديتي زكاته فليس بكنز".

فهنا يتبين لنا من قول أم سلمة وتعليم النبي لها يتبين لنا حكمان:

(١) أن الخلي الذي تتزين به المرأة فيه الزكاة.

(٢) وأن معنى الآية: الكنز الذي يُحاسب عليه ويُعاقب عليه المرء الذي يُكَنِّز ولا يخرج الزكاة فإن أخرج المال لا يكون المال كنزاً لأن في بداية الإسلام كانوا يقولون: كل درهم زاد فهو كنز لا بد من إنفاقه.

فهنا جاءنا الحديث عن ابن عمر وأيضاً عن أم سلمة أن " ما أخرج زكاته فليس بكنز".

وانظر حكمان الآن من تعليم النبي لأم سلمة - رضي الله عنها وأرضاها:

(١) أن المرأة لها أن تتزين لزوجها وهذه السنة قال تعالى: " أَوْ مَن يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ". [الزخرف: ١٨].

(٢) أنها إن تحلت فلا بد أن تُزكي.

إذن: الذهب المستعمل في الزينة الواجب فيه الزكاة مع أن هذا خلاف جمهور الفقهاء لكن ثبتت السنة لما دخلت المرأة وفي أيديها أساور قال لها النبي: " هل أديت زكاته؟ قالت: لا فقال: أتريد أن يسورك الله بسوارين من نار؟ أدّى زكاته".

وهذه دلالة على أن ذهب الزينة فيه زكاة.

وأم سلمة تعلمت أيضاً أنها إن كانت صائمة فله أن يُقبلها وهي صائمة ولا يؤثر ذلك في صيامها لذلك الرجل بعث امرأته لأم سلمة تسألها قالت لأم سلمة: إن زوجي يُقبلني وهو صائم وهناك حرج شديد عليه في ذلك أفصح صومه؟ قالت: نعم كان النبي يُقبل بعض نساءه ويتم صومه.

فلما ذهبت المرأة إلى الرجل قال: والله ما زدتينني إلا همًا النبي رجل قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فرجعت المرأة إلى أم سلمة فرجعت أم سلمة لرسول الله - ﷺ - وقالت: أن المرأة جاءت تسأل أن زوجها يُقبلها وهو صائم فقال لها: **"لِمَا لَمْ تَقُولِي لَهَا أَنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ؟" ..**

قالت قلت لها فقال زوجها: إن النبي - ﷺ - رجل قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فغضب النبي وقال: **"إِنِّي أَخْشَاكُمُ اللَّهَ وَأَتَقَاكُمُ لَهُ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءَ حَسَنَةٍ"**.

فكان فاصل الخطاب لأم سلمة بما تعلمته من النبي - ﷺ - فكم وكم من الحسنات تكون لك إن رفعت الجهل عن أهلك وأنت تقوي أوامر المحبة بينك وبينها عندما تُعلمها أو تُعلمك قالت: اجلس أعلمك علم سعيد.

كم وكم تكون الرفعة للأسرة بأسرها بشرف العلم.

أنظر إلى أم سلمة كيف فصلت الخطاب أيضًا في النزاع ابن عباس دخل عليه أبو هريرة ودخل عليه أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف من خيار التابعين فطرحوا مسألة مهمة المرأة الحامل ما عدتها لأنها يعتريها آيتان قوله - جل في علاه - **"وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4)/الطلاق.**

فإن وضعت انقضت العدة هذه المرأة الحامل التي مات عنها زوجها يعتريها آيتان الآية الثانية: **"وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (240) / البقرة.**

فقالت: هل الأجل الذي أقف عنده أربعة أشهر وعشرًا أم الأجل الذي أقف عنده عندما تضع ؟

يعني إن وضعت المرأة بعد وفاة الزوج بثانية هل تتزوج؟

إن قلنا بآية وضع الحمل تتزوج وإن قلنا بالآية الثانية ستبقي أربعة أشهر وعشرًا..

اختلف ابن عباس وأبو هريرة ومعهم أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف فأين كان فاصل الخطاب؟

ابن عباس قال: تمكث أبعد الأجلين فلو كانت حاملاً في تسعة أشهر فبعد الحمل تنقضي العدة ولو كانت حاملاً في شهر واحد تبقى أربعة أشهر وعشرًا يعني تبقى أبعد الأجلين عملاً بالدليلين.

فقال أبو هريرة: أرسل إلى أم سلمة فأرسلوا إلى أم سلمة فقالت: " عدتها الوضع سُبَيْعَة
الْأُسْلَمِيَّة كانت حاملاً وجاءها خبر وفاة زوجها فما لبثت إلا أن ولدت فقال لها النبي - ﷺ - "
أَنْتِ تحلّتي للخطّاب".

في الحديث كثير جدًّا لكن الوقت قد أزف ولكننا نختم هذا الختام المسك في هذا الباب : "

" خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".

وأعظم الخيرية أن ترفع الجهل عن زوجك بأن تُعلمها سنة سيد البشرية.

أسأل الله أن ينفع بهذه السلسلة الأمة الإسلامية وأن يُلهمنا وإياكم الإخلاص فما كان لله دام
واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل وإن الله ينظر إلى القلوب من نافق وراء راء الله به
ومن سمع سمع الله به.

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها شيئاً.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.